

السنة الخامسة (جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ هـ - يولية سنة ١٩٣٨ م) العدد الأول

صحيفة دار العلوم

تصدرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات «صحيفة دار العلوم» في جميع مدارسها

رئيس التحرير

المدير

محمد علي مصطفى

محمد نجيب جريانة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

الصباغى بيومى

المدرس بدار العلوم

الاشتراك السنوى

٢٠ قرشا

٦ شلنات انجليزية

٥ قروش

في القطر المصرى

خارج القطر

ثمان العدد



ديوان جلالة الملك

مكتب الرئيس

حضرة الأستاذ المحترم رئيس جامعة دار العلوم .

تحيتي إليكم ، وبعد فقد تلقيت « صحيفة دار العلوم »
التي تفضلتم بإهدائها إلي ، باسم جماعتكم الموقرة ، ويسرني
أن أشكر لكم ، ولحضرات إخوانكم ، هذه الهدية الأدبية ،
التي أقدرها ، كما أقدر المعهد الكريم الذي تحمل اسمه .
وأسأل الله تعالى أن يكلل جهودكم في خدمة اللغة والأدب
بالتوفيق والنجاح .

ومنى إليكم أطيب الأمنيات

المخلص

٩ مايو سنة ١٩٣٨

على ماهر

مجلس النواب

مكتب الرئيس

مصر في ٢٩ مايو سنة ١٩٣٨

حضرة الفاضل الأستاذ محمد نجيب حتاته ،

رئيس جماعة دار العلوم .

أرجو أن تقبلوا وحضرات أعضاء جماعة دار العلوم
مزيد شكرى ، على هديتكم الكريمة ، وهى العدد الرابع
من «صحيفة دار العلوم» ، الذى جمع ما جادت به قرائح أبنائها
من الشعر والنثر ، احتفالاً بالزواج الملكى السعيد .

ويطيب لى ، بهذه المناسبة ، أن أعبر لحضراتكم عما شملنى ،
ويشملنى على الدوام ، من الغبطة ، كلما مررت بآثار جماعتكم
المحمودة المجهود الموقفة العمل ، وأخص بالذكر ما توفرت
عليه من عمل متواصل ، فى خدمة التعليم ونشر الثقافة العربية
وختاماً أدعو الله أن يكال على الدوام مجهوداتكم بالنجاح ،
ويهيء لكم أسباب التوفيق فيما تقومون به من الخدمة العامة .

والسلام عليكم ورحمة الله

رئيس مجلس النواب

بهى الدين برطت

مقدمة

يشرفنا ، وعلأ نفوسنا ابتهاجاً ، وقلوبنا غبطة ، أن نفتتح السنة الخامسة ، لصحيفة دار العلوم ، بهذه الرسائل الثلاث ، التي تنطق بما نالت الصحيفة من رعاية سامية ، وعطف كريم .

كان خاتمة أعداد السنة الرابعة خاصاً بالزفاف الملكي السعيد ، نشرنا فيه كثيراً مما فاض على السنة أبناء دار العلوم شعراً ونثراً ، وتشرف برفعه إلى السدة الملكية وفد من جماعة دار العلوم ، ضم عدداً من أعضاء مجلس الإدارة ، ومعهم الأستاذ محمد نجيب حتاته ، مدير الصحيفة ، ورئيس الجماعة ، والأستاذ محمد علي مصطفى ، رئيس التحرير . كما تشرفت لجنة الصحيفة بإهداء نسخ من هذا العدد إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان الملكي ، وإلى كثير من رجالات مصر وساستها وزعمائها وأصحاب الرأي فيها ، نذكر من بينهم صاحب السعادة رئيس مجلس النواب ، بهي الدين بركات باشا .

وإلى القارئ بعض الرسائل التي شرفنا بورودها ، ننشرها اعترافاً بجميل المنة ، وحمداً لله على توفيقنا فيما نقوم به من خدمة لغة البلاد ، باسم جماعة دار العلوم .



ديوان كبير الامناء

حضرة المحترم الأستاذ محمد نجيب حتاته ،
مدير صحيفة دار العلوم .
أنشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامى ، على النسخ
الثلاث ، التى قدمتموها ، أنتم وحضرة الأستاذ محمد على
مصطفى ، رئيس تحرير الصحيفة ، إلى حضرتى صاحبى الجلالة
الملك والملكة ، وحضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى .

وتقبلوا وافر الاحترام مـ

كبير الامناء

تحريراً فى ١٤ مايو سنة ١٩٣٨

سعيد زو الفقار

فهرسنت

من	٣	مقدمة
٧	قصيدة الأستاذ على الجارم بك لى عيد الجلوس الملىكى	
١١	الحقيقة فى الأدب : : الأستاذ أحمد الشاب	
٢٣	مقابس من معجم الأدباء : : عبد الحالى عمر	
٣٣	تحفة عيد الجلوس : : عمران فرج الجمل	
٣٥	علم النفس : : محمد خلف الله	
٤٤	السیر محمد إقبال : : عبد الوهاب التجار	
٥٢	لبنان (قصيدة) : : عبد الحميد زیدان	
٥٦	المغوى فى الاسلام : : محمد مهدي علام	
٨٩	ذكرى جمال الدين الأفغانى : : حسين حسن مخاوف	
٩٦	القصة فى الأدب المصرى : : على التجدى ناصف	
١٠٢	الدلالة النفسية للأساليب : : سيد قطب	
١١٠	حظ أبى تمام من بیت الخلافة : : عبد الحميد راضى	
١١٨	ود زائف (قصيدة) : : عبد الحالى المسيرى	
١١٩	هوراشيوس (قصة رومانية) : : عبد العزيز عتيق	
١٢٥	شيخنا البطاروى بك (قصيدة) : : على الجندى	
١٢٧	مصطفى صادق الرافعى : : محمد سعيد المريان	
١٣٣	بين القط والقار (شعر) : : عبد العزيز محمد خليل	
١٣٦	أحمد الاسكندرى بك : : محمد أحمد برانق	
١٤٥	أصحاب الفيل (قصة تمثيلية) : : محمد يوسف المحجوب	

قصيدة صاحب العزة

الاستاذ على الجارم بك في عيد الجلوس الملكي

جمعت من فرع ذات الدل أوتارى
 وعشت للفن أحيا في بدائمه
 أشدو، فان شئت أن تصغى لساجعة
 كادت ترق يراعى الطير تحسبه
 قد علمته النغنى فوق أيكته
 كأن داود ألقى عند بريته
 أعدده قبسا يذكى توقده
 ويكشف الأمل المحجوب ساطعه
 الشعر عاطفة تقتاد عاطفة
 الشعر إن لامس الأرواح ألهبها
 الشعر مصباح أقوام إذا التمسوا
 الشعر أنشودة الفنان يرسلها
 الشعر همس غصون الدوح مائسة
 الشعر للملك جيش لا يصاله
 يغزو وينصر ، لا أشلاء معركة
 وصغت من بساط الغيد أشعارى
 بين الظلال ، وبين السلسل الجارى
 من الخلود ، فأنصت تحت أوكارى
 وقد تغنى بشعرى سن منقار
 ففاقها فى التغنى فوق أسطار
 أثارة من ترانيم وأسرار
 عزم الشباب ، ويهدى ليلة السارى
 واليأس يغشى بأسداف وأستار
 وفكرة تتجلى بين أفكار
 كما تقابل تيار تيار
 نور الحياة ، وزند الأمة الوارى
 إلى القلوب ، فتتحيا بعد إقفار
 ودمعة الطل فى أجفان أزهار
 جلاد مرهفة أوفتك بتار
 ترى ، ولا وثبات حول أسوار

إذا تخطر في الأفواه تنشده
وإن أغار ، تنادى كل ذى هلع
قد كان حسان جيشاً في قصائده
وكان ملك بنى مروان في أطم
وهل زهت بينى العباس دولتهم
فقل لمن راح للأهرام يرفعها :
كم حكمة فيه لا تقنى بشاشتها
الشعر للملك مرآة مخلدة
صورت فيه سنا الفاروق مؤتلقاً
وصفته فاتن الألوان مزدهراً
غض الجفون حياء كل خطار
إلى الفرار وأودى كل مغوار
أشد من كل زحاف وجرار
عال من الشعر، يرمى الشهب بالنار
إلا بأمثال حماد وبشار ؟
اخلد في الشعر لافي رصف أحجار
ومن حديث على الأيام سيار
على تعاقب أجيال وأدهار
يزدان باثنين : إجلال وإكبار
كأنما نقشته كف آذار

ملك من النور قد ضاعت دعائه
ودولة ركز الاسلام رايته
وعاهل من صميم النيل نبعته
أحيا النفوس بآمال تضاحكها
كأن أيامه والبر يغمرها
كأنما عهده والبشر يملؤه
كأن ذكره لما سار سائرهما
كأن أمداحه في أذن سامعها
كأنما شيد من هالات أقطار
فيها على طود تاريخ وآثار
أما ترى ليديه وكف أمطار ؟
فاليأس فيها غريب الأهل والدار
صحائف الطهر في إيمان أبرار
تبسم الشرق عن أنفاس أسجار
عبير دانية الظلين معطار
مساقط الشهد من أعواد مشتار

كأن طلعتة والشوق يرقبها وجه الصباح يحى نضو أسفار

« فاروق » يازينة الدنيا وبهجتها وأسمع الناس في ورد وإصدار
وابن الملوك الألى قلت عزائمهم من حد كل صليب الحد جبار
أقمار مملكة ، آساد ملحمة أملاك مرحة ، صناع أقطار
من كل ندب بعيد الرأى مستبق إلى الجهاد مغار القتل صبار
المجد أبقى لهم ذكرى مخلاة أعمارهم وصلت منها بأعمار

الشعب شعبك ، والأيام باسمه والدهر كالزهر في صفو وإنضار
أحبك الشعب فانعم في محبته فأنت ملء قلوب ، ملء أبصار
مُر، وانه في الحق ، فالأسماع مصغية فداؤك النفس من ناه وأمار
وارفع لواءك فوق الشرق تلثمه أفواه أودية فيه وأمصار

ذكراك في الدهر آيات مطهرة تحلو بغن وتوتيل وتكرار
شدوت باسمك حتى كدت من طرب أظننى ذا جناح بين أطياف
فان سمعت رنيناً كله عجب فالعود عودى والأوتار أوتارى
جلوسك اليوم أثمار المنى ينعت يا حسنهما من منى خضر وأثمار
عيد به الأرض والآفاق مشرقة تمازجت فيه أنوار بأنوار

عيد كأن الليالى قد وهبن له ما فى الخليفة من عين وأيسار
 النيل فيه جرى على بشائره وينثنى بين أدواح وأشجار
 إذا الربيع رى فيه أزاهره جزاه بالتبر ديناراً بدينار
 أو الحمائم غنت فوق مأجحه حبا الحمائم تهداراً بتهدار



يا كالىء الدين والدستور من جنف وحارس النيل من أوضار أ كدار
 وحافز الشعب يدعوه فيتبعه إلى النجوم جريئاً غير خوار
 العلم للشعب ركن غير منصدع والشعب بالعلم صف غير منهار
 اختارك الله للإسلام تنصره فكنت موئله يا خير مختار
 عش فى القلوب فقد أعطت مقالدها وفى نعيم عميم الغيث مدرار



في النظر الأدبي

الحقيقة في الأدب

معناها - قيمتها - مقاييسها النقدية - جدتها - صحتها - صلتها بالأدب

بقلم الأستاذ أحمد الشايب

المدرس بكلية الآداب

— ١ —

يُطلق بعض النقاد على موضوع اليوم : العنصر العقلي في الأدب —
The intellectual Element in Literature — ويعنون به الحقيقة أو
الفكرة التي يحتويها النص الأدبي بجانب العناصر الأخرى من لفظ، وخيال،
وانفعال (عاطفة) . وقبل أن نسير في البحث نحاول أن نبين هذا العنصر
بالتمثيل له أولاً . ثم مانراه أصلح الأسماء له ثانياً . قال أبو العلاء المعري :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تخطئنا الأيام حتى كأننا زُجاجٌ ولكن لا يُعاد له سبكُ
أذكر أن هذا المثال قد مر بنا قبل اليوم ، وإنما أذكره ثانياً لبيان هذا
العنصر العقلي فيه حتى يكمل تحليله . ولا شك أن الانفعال الذي يثيره هذا النص
في نفوسنا هو السخط والتشاؤم بهذه الحياة . وقد استعان أبو العلاء على بعث
هذه (العاطفة) بهذا (الخيال) الزجاجي كما قدمنا فيما مضى . فهذان هما العنصران
الذان مضى فيهما الكلام .

والآن نترك العاطفة والخيال ، ونسأل عن ذلك الشيء الذي يدل عليه اللفظ
دلالة وضعية : ما هو هنا ، والإجابة عن هذا السؤال سهلة ، فالمراد أن ضحك
الناس خطأ ، وحقهم أن يبكوا . لماذا ؟ لأنهم الأعيب في يد الأيام تهلكهم

بخطوبها تم لا تعيدهم سالمين . هذا المراد - أو منظوق النص - هو الذى يسمى العنصر العقلى فى الأدب . وإتمادى على كذلك ليقابل العنصر العاطفى ، والخيالى ، واللفظى ؛ إذ أنه ليس حزناً ولا سخطاً . وليس فناً من هذه الفنون البيانية التى أشرنا إليها فى باب الخيال . هو الذى تعود الناس أن يسموه المعنى مقابلاً للفظ وهو الذى يطلق عليه النقاد المحدثون كلمة حقيقة Fact أو فكرة Thought أو الحق Iruth الذى يعد أساس المنشآت العقلية ، فكيف نسميه ؟ لا يزال من إخوانى من يصر على أن يطلق عليه - المعنى - وهو بذلك يقابل اللفظ مجازة للمتقدمين ، أو بعبارة أدق لبعض المتقدمين الذين لم يعنوا بهذه العناصر الأدبية الأخرى كالعاطفة والخيال . وإن أدركوا ما فيهما من قوة وجمال وأسأل هذا الفريق من إخوانى : إذا كان الأدب - كما قال الأقدمون عندنا - لفظاً ومعنى فى أى القسمين نضع سائر العناصر ؟ فمنهم من يتوقف ، ومنهم من يقول : الأدب لفظ ومعنى وعاطفة وخيال . ويكون بذلك مدعياً أنه خلق أو وضع لفظين جديدين لعنصرين جديدين .

وعندى أنه لا حاجة إلى هذا كله ، ولا معنى لهذا الادعاء . وخير لنا أن نصف المتقدمين إنصافاً حقاً ، ثم نقوى الاتصال بهم من جهة ما وضعوا من مصطلحات ، وما أدركوا للأدب من عناصر .

خير لنا أن نقول : إن الأدب - كالكلام - لفظ ومعنى . وأن هذا المعنى ينحل إلى عناصر ثلاث : العاطفة والخيال ، ثم الحقيقة أو الفكرة التى هى موضوع كلامنا الآن : وقد لحظ المتقدمون ذلك كله كما بسطته فى العدد الثانى من السنة الثانية لهذه الصحيفة تحت عنوان « بين اللفظ والمعنى » ، وعلى هذا الاعتبار أسير فى موضوع اليوم متكلماً فى هذا العنصر الثالث من عناصر الأدب وهو الحقيقة .

فى أية درجة نضع هذا العنصر العقلى بالنسبة إلى سائر العناصر الأدبية ؟
الأدب أدبان : نوع تكون الغاية منه التعليم وأداء الحقائق والاقناع كالنارخ

والنقد الأدبي ، والآراء والمذاهب الاجتماعية ، وهو الذي أسميه أدب الثقافة ، وصار يدعى الآن الأدب بالمعنى العام ، ونوع تكون غايته مع ذلك ، التأثير وإثارة الانفعالات ، كالشعر ، والقصص ، والخطابة ، والوصف ، وأسميه أدب القوة — أو العاطفة — وهو ما يدعونه الآن الأدب بالمعنى الخاص .

ففي النوع الأول نجد هذا العنصر الحقيقي في الدرجة الأولى ، إذ أنه الغاية المقصودة ، والهدف الذي يرمى الكاتب الى نشره وإقراره في عقول القراء ، وأما العاطفة هنا ، فتعد وسيلة تخدم الأسلوب لتبعث فيه حياة وقوة ، وتساعد بهذا على فهم الأفكار وثبوتها في أذهان القارئ . . . والنقد الأدبي حينما يعرض لهذا النوع ، يحكم عليه أوله بناء على ما فيه من الحقائق والأفكار ، ثم لا ينسى مع ذلك مقدار ما صحب الحقائق من عاطفة تكسيها الروعة وقوة التأثير ، ويكون مثل العاطفة هنا مثل الشراب اللذيذ يذاب فيه الدواء ليسهل تعاطيه .

ولكن ما المقاييس التي يعتمد عليها النقد في تقرير هذه الآثار الأدبية العامة ؟ ثلاثة : كمية المعلومات ، ودقتها ، ووضوحها ؛ فنحن ننتظر من الكاتب أن يزودنا من الحقائق بما يستطيع ، وأن يؤديها صحيحة متميزة الحدود والخواص ، ثم يصورها بأسلوب واضح يجعلها سهلة الفهم والادراك ، فإذا حاول النقد الأدبي التعمق في درس هذه المقاييس وتفصيلها ، يكون قد تجاوز طوره ، وعدا حده ، إذ أن ذلك من مهمة علوم أخرى تعنى بها كالمنطق ، والفلسفة ، والبلاغة ، فالأولان يعنيان بالحقائق وصحتها ، والثالث يدرس طرق التعبير السهل الواضح لكل فن من الفنون الأدبية ، وسنعرض لشيء إجمالي منه في المقال التالي إن شاء الله تعالى .

وبعد ذلك لا يعدم النقد الأدبي مجالا ينفذ منه إلى هذا النوع من الأدب العقلي ، ذلك هو ما يلابس الكتابة من عاطفة . وأوهن درجة العاطفة هنا ، تراه في ثقة الكاتب بما يقرر ، ثم في عنايته بتوضيحه ، وأخيراً في حرصه على إذاعته واتصاله بحياة الناس النفسية أو الاجتماعية ، فنجد ذلك يولد في نفس الكاتب لذة وسروراً بما يكتب ، ويجعل للكتابة روعة ، وخفة وقع ، وشدة

تأثير ورواج ، ثم يكسب الأديب أنصاراً ومؤيدين ، ويهب لآثاره طابعاً فنياً يتجاوز به دائرة العلم الخاص إلى مجال الفن الجميل .

أما إذا أنام الكاتب عاطفته ، وأيقظ عقله معتمداً عليه وحده في التعبير دون أن تلصحه حرارة الشعور ، كانت النتيجة أنك تقرأ له هيكلًا عظمياً من الكلام لا تكسوه عضلات ولا أعصاب . وكان أخرى به أن يكون سجلاً لتدوين هذا الحساب العقلي ، أو هو علم ليس غير .

وأجدني — هذه المرة — حريصاً على أن أذكر بعض الأمثلة المعاصرة لتوضيح هذه الظاهرة . فهذا الأستاذ حسين في كتابه — في الأدب الجاهلي — أصدق مثال لهذا الأدب العقلي الذي يجمع إلى الحقائق والأفكار شعوراً صادقاً قوياً وهب لأسلوبه روعة وموسيقاً لا تكاد تتحقق لغيره من الكتاب . وسبب ذلك ، فيما أرى ، صدق يقينه بما يكتب ، وحرصه على نشره ، وعرضه بشيء من التحدى والاستفزاز ، حتى ليصح أن يدعى بالكاتب الذي يقع على الحقيقة العلمية الخالصة فيحيلها أدباً أو فناً بهذا الأسلوب الواضح القوي الجميل .

أما زميله الأستاذ أحمد أمين — في فجر الإسلام أو ضحاها — فقد غلبت على آثاره الناحية العقلية ، واتجه حرصه الأول والأكبر إلى تقرير الآراء والقضايا العلمية مخلصاً لها ، فامتاز أسلوبه بالدقة والوضوح وإن أعوزته نغمات الموسيقى ، وروعة الجمال .

ومهما يكن من الأسباب الموضوعية والشخصية لهذه الفروق ، فانا قد ظفرنا من الرجلين بالأديب العالم ، وبالعالم ... الأديب . والأستاذ العقاد — في فصوله المنشورة — يمكن أن يكون شخصية تتوسط هذين ، فلا شك أن أفكاره خصبة دسمة ، وليكنها مع ذلك تترامى لك في أسلوب قوي تستشف منه اعتزازاً بالنفس ، وتمسكاً بالرأي ، وإخلاصاً للفكرة ، جار على كثير من سلاسة الأسلوب وجماله الموسيقي .

ويعيش بيننا الآن طائفة من الكتاب يتمايزون فيما بينهم بصفات يستطيع القاري المتوسط إدراكها كفتور العاطفة ، والفتنة بالموسيقى الصناعية ، والاعتماد

على الصور المتتابعة إلى غير ذلك مما مرجعه درجة الشعور الذي يسيطر على الكاتب وهو يستوحى القلم والضمير .

— ٣ —

وأما النوع الثاني وهو الأدب بالمعنى الخاص — أو ما يسمى الأدب الصافي Pure Literature فإن غايته الأولى بعث العاطفة وإثارتها، وتعد الحقيقة فيه وسيلة ولكنها وسيلة لازمة لا قيمة للعاطفة إلا بها، فإذا كان الأدب هنا كالسيفينة، كانت الحقيقة دفعتها، والعاطفة هي الشراع أو البخار، وليبان ذلك نعود إلى مثال المعرى المذكور آنفاً ونسأل أنفسنا عن السر الأول في هذا السخط الذي بعثه أبو العلاء، ولو في بعض النفوس. هذا السر يبدو أولاً في ناحية الحقيقة أو البرهان الذي دعم به دعواه، وهو ما ينالنا من فناء إلى غير عردة في الحياة، فهذه الحقيقة القائمة على الواقع المشاهد صورت للناس — أو لبعض الناس — حياتهم لعبة خاسرة، فسخطوا، ولولا هذا البرهان، لبقيت العاطفة دعوى لا تعتمد على أساس فتذهب هباء لا يبقى .

وهنا تبدو لنا هذه المنزلة الخطيرة التي تنزلها الحقيقة في هذا النوع من الأدب الخالص، فليس حقاً ما قديتوهمه الناس من أن الأدب صور خيالية تافهة أو عواطف مزعومة أو أفاكيه وعلات الفارغين، وإنما الحق أن هذا الأدب يقوم على أصدق القوانين العقلية، فيعرضها عرضاً قوياً صادقاً يجمع بين عمق التفكير وجمال التعبير .

وعند ما يعرض النقد الأدبي لهذا النوع، يسأله عن الحقائق التي يحتويها؛ ما قيمتها وما كميتها بجانب سؤاله عن العناصر الأخرى، وأعظم الشعراء هم رجال المعارف الواسعة، والتجارب الصحيحة، والآراء السديدة، والتفكير العميق، ويقول كارليل: « إن الشاعر الذي يستطيع فقط أن يجلس على الكرسي وينشئ النظم، لا يمكن مطلقاً أن يقول ما يستحق القراءة . »

وتجد الآراء القوية والعقائد المسيطرة على الحياة أو العصور قد تناولها الشعر، ولخصها في تركيز الفن لافي سفسطة الحواشي والشروح .

من هم زعماء الشعر العربي؟ ومتى وجدوا؟ وماذا نفيد منهم؟ هم شعراء المعاني الذين انتهت إليهم خلاصة الثقافة الإسلامية، كأبي تمام، وابن الرومي، والمتنبي، والمعري، وهم الذين بعثوا بسبب شعرهم فن النقد الأدبي، وهم الذين كثرت حولهم المؤلفات، وقامت المدارس، وغذوا الأدب العربي بثروة لا تبلى، وجد هؤلاء في العصور التي نشطت فيها حركة التأليف والترجمة، فدرسوا وتثقفوا حتى برى شعرهم من سفساف القول، وبدت فيه نواح موضوعية شتى، وامتازت شخصياتهم الفنية بقدر ما تيسر لهم من الثقافة والعرفان، ولا شك أنا نفيد منهم فوق الأساليب، هذه المعاني المخترعة، والحقائق الأدبية، وحسن تصوير الفترات التاريخية التي عاشوا فيها. ألم تتركز أنواع الحياة في القرنين الرابع والخامس في شعر المتنبي وأبي العلاء؟ ثم لاحظ الفرق الواضح بين النثر العربي بداءة العصر الحديث وبينه الآن، تجد أننا نعيش في خير عصور النثر الأدبي، وذلك لهذه الثروة الفكرية التي يذخر بها هذا الفن العظيم فلم تذهب بحاله وزادته قوة وسلطانا على نواحي حياتنا الحاضرة.

وهنا نصل إلى نقطة أخرى تفصل بين هذين النوعين من الأدب، وهي جودة الحقائق. هل يجب أن تكون الأفكار الأدبية جديدة غير معروفة للقراء؟ أما النوع السابق — كالنقد والتاريخ — فمن الضروري اشتماله على معارف جديدة نفيد منها مادام يرمى إلى التعليم والتثقيف، لأن الناس لا يميلون إلى قراءة كتاب أو مقال يخبرنا عن شيء نعرفه من قبل جيد العرفان، ولكن النوع الثاني لا يلتزم هذا القانون إذ كانت مهمته الأولى التأثير، والتصوير، ويحسن أن نفسر هذا الكلام ببعض الشيء.

لو حاول الشاعر أن يحشد في نظامه حقائق الحياة أو العلوم، ويجعله جلا فلسفيا — كما فعل المعري في اللزوميات — استحاله فنه علما وصار كلامه أشبه بالمنظومات العلمية، ويكون الشاعر هنا قد ترك مهمته التعبيرية إلى مهمة العالم التقريرية. ليست وظيفة الشاعر الجمع والتقرير، بل الاختصار والتصوير، فتجده كثيراً ما يتناول الأشياء المنظورة أو الأفكار المشهورة ويحاول تفسيرها أو

تعليلها تعليلافنياً ، وفي ذلك تظهر براعة الشاعر وجدة معانيه . ولنذكر مثالا لذلك قول المتنبي في شعب بران :

غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجب الحر عنى وجئن من الضياء بما كفانى
وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفر من البنان

فنعصر الحقيقة في هذه الآيات هو أن الندى يسقط على أعراف الخيل حين سارت في الشعب صباحاً ، وقد حجبت الغصون عنى حر الشمس ووصل إلى من الضوء ما يكفي نافذاً من بين الأغصان . وإذا حاولنا أن نجد له جدة أو قيمة عجزنا ، فلم يعد هذه الأخبار العادية التي لا تستوقف الفكر ، ولا تزيد ثقافة ، ومع ذلك فالشعر رائع جميل ... لماذا ؟ لأن الشاعر هنا يعرض الوصف الحسى لاجمال فيه للفلسفة والأفكار العلمية ، فاعتمد في التجديد على الناحية التصويرية كما ذكرنا في الكلام على الخيال ، وأخذ هذه الحقائق التافهة وكساها بتصوره وتصويره فنوياً خيالية بديعة كانت أحسن العوض من ثراء الحقائق والآراء . وليس ذلك سهلاً على الشاعر . فانظر إليه يعرض علينا الأغصان إنساناً ينثر الجمان على أعراف الخيل ، ويوصل إلى السائر ما ينفعه ويحجب عنه ما يؤذيه وهذه الشمس حين أشرقت نثرت عليه دنانير لا تستقر في اليد ، حتى قال عند الدولة حين سمع ذلك : والله لألقين فيها دنانير لا تفر ... وقد فعل .

وهذا بعينه هو ما يقال في هذه الآيات التي أنعت ابن قتيبة ، والعسكري والجرجاني وغيرهم :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هوامسح

الآيات — فلن نظفر منها بحقيقة فلسفيه أو علمية ، ولكن ناحية التصوير باللغة في الحسن درجة ممتازة كما بينا ذلك في موضع سابق من هذه الصحيفة .

ويقول ابن رشيق : « والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر ، فان وقع فيه شيء منهما فبقدر ، ولا يجب أن يجعلانصب العين ، فيكونا متكئا واستراحة

وإنما الشعر ما أطرب ، وهز النفوس ، وحرك الطباع ، فهذا هو باب الشعر الذى وضع له وبنى عليه لا ماسواه ،
ولكن الأدب العظيم هو الذى يجمع بين هذه الجودة فى التصوير وبين الجودة فى التفكير ، فيعرض علينا الفكرة القيمة ، والصورة الحسنة ، ليكون نافعا ومؤثرا ، وهذا هو ما فعله المتنبي حين قال :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه إذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم
وأن ترد الماء الذى شطره دم فتسقى إذا لم يسق من لم يزاحم
ون عرف الأيام معرقى بها وبالناس روى رحمه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

هنا تجد قرابين خلقية ، واجتماعية ، ونفسية تجعل العنصر العقلى غاية الثراء والافادة . وتجد صنوفا من التصور جعلت التصوير الخيالى أقوى ، وأجمل ما ينتظر الفنى الأديب . فمن الجهل ما يكون هو الحلم إذا دعا الصلاح الى المظالم ، ومن اللازم الحتم أن تتركب شر المراكب حين لا بد منها للحياة ، فالناس لئام لا يحترمون إلا القوة ولا يرحمون ضعيفا ، ومهما يكن من المبالغة أو التعميم فى هذه الآراء ، فهى شئ له قيمته يصور لنا هذه الشخصية المجربة الثائرة .

ولا أظننى محتاجا إلى بيان هذه العناصر الخيالية التصويرية فقد مضى لها أمثلة كثيرة ، وحسبك أن تلاحظ أن عناصرها الدموية ، والحربية ، أليق العناصر بتلك الأفكار الثائرة النافذة أولا ، ثم هذا الجمال والتناسب فى طرق تأليفها استعارة وكناية ، حتى كان بعد التصور كفاء لقيمة الأفكار .

— ٤ —

على أن آراء المتنبي هذه تسلمنا إلى نقطة أخرى فى هذا البحث : يجب أن تكون هذه الأفكار صحيحة لا يتطرق إليها خطأ ؟ ألسنا نستطيع الحصول على أدب جميل قيم مع اشتماله على أفكار خاطئة أو آراء سخيفة ؟ لا شك أن عرض هذه المسألة قد يسرع فيثير فى النفوس القطع أو الميل إلى الإجابة عن السؤالين بكلمة . نعم ، ولكن المسألة مع ذلك موضع جدال عريض بين النقاد

كل يتأثر بمزاجه الديني ، أو العلمي ، أو الفني ، ولست أقصد بالخطأ الكذب أو بعد الخيال والمبالغة مما عني به ابن رشيق وأضرابه ، وإن كان لذلك أثر ما فيما نحن بصددّه . إنما أقصد الأديب الذي يعرض الحقيقة فيعكسها أو يخطئ في فهمها العلمي أو الفلسفي . وأقصد الراوي الذي يقيم فكرة روايته أو خطتها على نظريات خاطئة من ناحية التاريخ أو الاجتماع . قال أبو تمام :

ألذ من الماء الزلال على الظما وأطرف من مر الشمال بيغداد
وقد لحظ الجرجاني فساد الفكرة هنا فأخذ على أبي تمام أنه جعل الشمال
طرفة بيغداد وهي أكثر الرياح بها هبوبا . وقوله :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد
ذهب الجرجاني في تفسير هذا البيت مذهبا جعله فاسدا ، لأن الشاعر جعل
البلاد إنما تضيق بأهلها لضيق الأرض وأنها لو اتسعت اتسع صدر الممدوح
لم تضق البلاد ؛ ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الأصل على قدر سعة الأرض
وضيقها . وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة ، وإنما تضيق البلاد بأهلها لتزاحمهم
فيها مع سعة الأرض . وقوله :

سبعون شهراً كلها في كله لي عايق عن منزلي وبلادي

فجعل للكل كلا ، كما جعل للدهر دهرًا في قوله : —

تحملت ما لو حمل الدهر شطره لفكر دهرًا أي عبايه أقل
وهنا أخطاء مذكورة تتصل بالتصوير لا بالتفكير كقوله :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفيك ، ماماريت في أنه برد

والبرد لا يوصف بالركة وإنما يوصف بالصفاء والدقة . ومثل ذلك النقد
مشهور في هذه الصورة : لا تسقني ماء الملام . ولكن خطأ التصوير ليس مكانه
هنا فلنتركه إلى مسألتنا .

هذه الآيات التي ذكرت فاسدة المعنى كما يقول الأقدمون ، ويعنون بذلك
فساد الفكرة أو الحقيقة . ومع هذا ففيها روعة ، وجمال ، وتأثير ، أي أنها
أدب قيم على الرغم من هذا الخطأ ، ولذلك يرى كورثوب Courthope ، أن

قيمة الشعر لا تتوقف على صوابه الفلسفى لكن على ملامته لأغراض الفن . ومعنى هذا أن الصواب فى الأدب من حيث الأفكار — شئ ثانوى ، وأن القيمة الجديدة فيه تتحقق من ناحية التعبير والتصوير ، وذلك يكون بمثل حسن التعليل ، وجمال التشبيه ، ودقة الكتابة ، وسلامة العبارة ، حتى لقد سئل بعض أهل الأدب : من أشعر الناس ؟ فقال : من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك . يريد الذى تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة وخلاف للشهوة ، وهذا قول أبى الطيب أولاً : —

واسمع من ألفاظه اللغة التى يلذ بها سمعى ، ولو ضمنت شتمى

ومثل هذا قيل فى صلة الشعر بالدين حين يفصل النقاد بين عقيدة الشاعر ودرجته الفنية فى التعبير الأدبى حتى قال الجرجاني : « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، وكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبيرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاب من أصحابه ، بكما خرساً ، وبكاء مفحمين ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر ، — فأنصار قبول الخطأ الفكرى فى الأدب يتساجحون فى التضحية بالصواب ، معتمدين على أن الأدب ليس علماً . ولا فلسفة مما يطالب بالصدق فى الحقائق ، ولكنه فن تبدو ميزاته ، وتنحصر مهمته فى العناصر الأخرى كصدق العاطفة ، وروعة الخيال ، وموسيقا الأسلوب ، وقد مرت أمثلة لذلك .

غير أنه لا يفوتنا هنا أن نعترف بأن هذا الأدب الذى — على جماله — يعوزه الصواب ، لا يتساوى فى قيمته الفنية مع هذه النصوص الأخرى التى فازت بصحة الفكرة وجودة الأداء ، وذلك لأن الأدب كما يقولون ليس إلا تصويراً للحقائق بوساطة الخيال ، فإذا ما عرض للحقائق منحنطاً أثر ذلك فى هذا التصوير وهون من حسنه وقيمه ، أما إذا وجد الخيال سنداً من قوة الحقيقة ، وصدق التفكير فهناك الشعر الجميل الخالد .

ويرحم الله أبا العلاء فقد قال :

كل بيت للهدم ، ما تبني الورق
قاله السعيد الرفيع العماد
والقبي ظاعن ويكفيه ظل السدر
در ضرب الأطناب والأوتاد
بان أمر الاله ، واختلف الناس
س ، فداع إلى ضلال وهاد

— ٥ —

وهنا أتق بنواح شتى عميقة معقدة تتم الكلام في هذا العنصر الأدبي الخطير وتتصل أشد ما تتصل بفنون لما تنضج في الأدب العربي ، كالقصة والرواية التمثيلية ، وتتناول شرح بعض المذاهب الفنية العامة والأدبية الخاصة ، كالواقعية Realism والمثالية Idealism ، والكلام فيها يمل ، ويطول ، وتعوزه فصول خاصة مطولة قد لا تحتملها الصحيفة ، ولكني أتركها على أن أعود إليها حين تضطرني الدواعي والمناسبات .

وأختم هذا البحث بنقطة يوضحها السؤال الآتي : — ما الصلة ، إذا ، بين الأدب والحقيقة ؟ وهل يحرص الأدب الخاص على تناول جميع النقط والأفكار التي تعرض له واصفاً ، أو غزلاً ، أو رائياً ، أو راوياً ، أو خطيباً ؟ أبسط ما نعرفه عن هذه الصلة أن الحقيقة عنصر من عناصر الأدب تدخل في تدوينه لاغنى له عنها ، بل لا وجود له ولا خلود بدونها ، وقد استوفينا شرح ذلك في الفصول السابقة ، والآن نلفت النظر إلى شيء آخر هو أن الاستقصاء وتناول الجزئيات التفصيلية ليس من طبيعة الأدب ، بل من وظيفة العلم الذي يعنى بكل شيء حتى يستطيع التقسيم ، والتبويب . والموازنة ، وإصدار الأحكام الحاسمة .

فهذه الصلة تقوم على اختيار الأدب ببعض الحقائق ، أو المناظر ، أو الحوادث الهامة التي يجد فيها ما يؤثر به في القراء والسمعين ، وسيله إلى ذلك أن يقع الأديب على هذه الجوانب التي أثارته أو راعته — لأنه أدرك فيها جمالاً مخبواً أو سرأ عميقاً — فيعرضها في أسلوبه الصادق ، وقد مثلنا لذلك برثاء البحترى ووصف ابن خفاجة وهذا شوقي في قصيدة أبي الهول ، راعه منه شباب دائم ، وعمر مديد ، وسفر في خلال الحقب ، وسخرية بالملوك والدول ،

إلى غير ذلك من أسباب العظة والاعجاب ، فهل أحصى شوق سنيه وأيامه ، ونواحيه وأحجاره ، كلا فليس عالماً مدققاً ، ولكن فنياً مفسراً . وهل يعذر النقاد المحدثون حين يأخذون على معلقة طرفة استقصاء ، ودقة ، في وصف الناقة ، ما ليس من طبيعة الشعر ؟ وهل تدبج لهم هذه الظاهرة العلمية أن يرفضوا أو يشكوا في صحته ، وأن يفرضوا أنه من صنعة العلماء ؟

ومن بدائنه الحياه ومعجائبها ، وعظمة الفنون وتنوعها ، أنك لا تجد اثنين من الأدباء يتفقان في كل ما يختاران من نقط التأثير لاختلاف الأمزجة ، والآراء والشخصيات عامة ، فتجد من آثار الشعراء ، والكتاب ، والروائيين ، صوراً شتى للشئ الواحد . وكلها — على اختلافها — جميل . مؤثر ، صحيح لا تنكره قواعد الفنون والآداب ، ومن هذه الناحية يخضع الأدب لسلطان الشخصيات ، الذي يرفضه العلم ، ويمده خطأً وجناية على حقائقه الموضوعية الخالصة ، ولا أجدني محتاجاً إلى تكرار ما سبق من الأمثلة التي توضح هذه الظاهرة ، فإن فعلت أنقلت حين يحتاج القراء إلى الراحة من هذا العناء .

أحمد الشايب



مقابس من معجم الأدباء لياقوت

على بن الحسن بن عترة بن ثابت

المؤلف عبد الخالق عمر

المدرس بدار العلوم

المعروف بشميم الحلي ، أبو الحسن النجوى اللغوى الشاعر ، مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وستائة ، أخبرنى به العماد بن الحدوس العدل ، وبمنزله مات بالموصل عن سن عالية ، وهو من أصل الحلة المزيدية . قدم بغداد وبها تأدب ، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر ، وأظنه قرأ على أبى نزار ملك النجاة (وسنأتى على ذكره فى المجلة فى العدد المقبل لأنه من وادى شميم فى صلفه)

قال مؤلف الكتاب : وكنت قد وردت إلى آمد فى شهر سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ ، فقصدت إلى مسجد الخضر ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً قضيفاً^(١) الجسم فى حجرة من المسجد ، وبين يديه جامدان مملوء كتباً من تصانيفه فحسب ، فسلمت عليه وجلست بين يديه ، فأقبل على وقال : من أين أنت ؟ قلت من بغداد . فهمس بى وأخذ يسألنى عنها وأخبره ، ثم قلت له : إنما جئت لأقتبس من علوم المولى شيئاً ، فقال لى : وأى علم تحب ؟ قلت له : أحب علوم الأدب . فقال : إن تصانيفى فى الأدب كثيرة ، وذلك أن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبوبوها ، وأما أنا فكل ما عندى من نتاج أفكارى ، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب فى نوع من الآداب استعملت فكرى وأنشأت من جنسه ما أدهض به المتقدم . فمن ذلك أن أباً تمام جمع أشعار العرب فى

(١) قصف : نحف فهو قضيف .

حماسته ، وأما أنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكارى ، ثم شنع (١)
أبا تمام وشتمه ، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبى نواس فى وصف
الخمر ، فعملت كتاب الخمریات من شعرى ، لو عاش أبو نواس لاستحيا أن
يذكر شعر نفسه لو سمعها ، ورأيت الناس مجمعين على تفضيل خطب ابن نباتة
فصنفت كتاب الخطب فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبى ، وجعل يزرى
على المتقدمين ويصف ما يجهل الأوائل ويخاطبهم بالكلب ، فعجبت منه وقلت
له : فأنشدنى شيئاً مما قلت ، فابتدأ وقرأ على خطبة كتاب الخمریات ، فعلق
بخاطرى من الخطبة قوله : ولما رأيت الحكيم قد أبدع ولم يدع لأحد من
أتباعه مطمعاً ، وسلك فى إنشاء سر الخمر ما سلك ، أثرت أن أجعل لها نصيباً
من عنايتى مع أننى علم الله لم ألمم بها بلثم نغر مذ رضعت ثدى أم ، أو كما قال .
ثم أنشدنى من هذا الكتاب :

أزج بمسبوك اللجين	ذهبا حكته دموع عيني
لما نعى ناعى الفراق	بين من أهوى ويني
كانت (٢) ولم يقدر لشي	قبلها إيجاب كون
وأحالها التحريم (٣) لما	شبهت بدم الحسين
خفقت لنا شمسان من	لألائها فى الخافقين
وبدت لنا فى كأسها	من لونها فى حلتين
فنجب هداك الله دن	كون اتفاق الضرتين
فى إيله بدأ السرور	بها يطالبنا بدين

(١) شنعه : قبحه وشتمه وفضحه .

(٢) أى حصلت فى الوجود ولم يقدر بشيء من الموجودات وجوب وجوده إلا هى
لأنها موجودة منذ وجد الانسان وسائرته فى كل أدوار الحياة كأنها واجبة الوجود .
(٣) جعلها التحريم من المحال تناوله ، لأنها شبهت بدم الحسين وهو محرم سفكه
ولعل المراد جعل شربها محالا

ومضى طليق الراح^(١) من قد كان مغلول اليدين
 ذى زينة الأحياء في الد نيا وزينة كل زين
 فاستحسن ذلك ، فغضب وقال لي : ويلك ما عندك غير الاستحسان ؟ قلت
 له : فما أصنع يا مولانا ؟ فقال لي : تصنع هكذا : ثم قام يرقص ويصفق إلى أن
 تعب ثم جلس وهو يقول : ما أصنع وقد ابتليت ببهايم لا يفرقون بين الدر
 والبعر ، والياقوت والحجر ، فاعتذرت إليه وسأله أن ينشدني شيئاً آخر ،
 فقال لي قد صنف كتاباً في التجنيس سمّيته أنيس الجليس في التجنيس ، في مدح
 صلاح الدين لما رأيت استحسان الناس لقول البستي ، فأنا أنشدك منه ، ثم
 أنشدني لنفسه :

ليت من طارل بالشمام نواه وثوى^(٢) به
 جعل العود إلى الزو^(٣) راء من بعض ثوابه^(٤)
 أترى يوطئ الدهر ثرى مسبك ترابه
 وأرى أي نور عيني موطناً لي وترى به
 ثم أنشدني لنفسه في وصف ساق :

قل لي فدتك النفس قل لي ماذا تريد ، إذا بقتلي ؟
 أدرت خمرأ في كئوسك هذه أم سم صل^(٥) ؟
 وأنشدني غير ذلك مما ضاع مني أصله ، ثم سأله عن تقدم من العلماء
 فلم يحسن الشاء على أحد منهم ، فلما ذكرت له المعري نهرني وقال لي : ويلك !
 كم تسيء الأدب بين يدي ، من ذلك السكب الأعمى حتى يذكر في مجلسي ؟
 فقلت : يا مولانا ما أراك ترضى عن أحد من تقدم .

(١) جمع راحة ، يريد بطلاقة الراحة السكرم

(٢) ثوى : أقام

(٣) الزوراء : مدينة بغداد .

(٤) ثوابه : أي جزائه من المجازاة والاثابة

(٥) الصل : الحية .

فقال : كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني ؟ قلت : فما فيهم قط أحد جاء بما يرضيك ؟ فقال : لا أعلمه إلا أن يكون المتنبى في مديحه خاصة ، وابن نباتة في خطبه ، وابن الحريري في مقاماته ؛ فهو لاء لم يقصروا . قلت له يا مولانا قد عجبت إذ لم تصنف مقامات تدحض بها مقامات الحريري ، فقال لي : يا بني أعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التنادي في الباطل ، عملت مقامات مرتين فلم ترضني فغسلتها (١) وما أعلم أن الله خلقني إلا لأظهر فضل ابن الحريري ، ثم خلط في الكلام وقال :

ليس في الوجود إلا خالقان : فأخذ في السماء وأحد في الأرض ، فالذي في السماء هو الله ، والذي في الأرض أنا ، ثم التفت إلى وقال : هذا كلام لا يحته له العامة لكونهم لا يفهمونه ، أنا لا أقدر على خالق شيء إلا خلق الكلام فأنا أخلقه ، ثم ذكر اشتقاق هذه اللفظة ، فقلت له : أيا مولانا ؟ أنا رجل محدث وإن لم تكن في المحدث جرأة مات بغصته ، وأحب أن أسأل مولانا عن شيء إن أذن ، فتبسم وقال : ما أراك تسأل إلا عن معضلة ، هات ما عندك . قلت : لم سميت بالشميم ؟ فشتمني ثم ضحك وقال : أعلم إني بقيت مدة من عمري لا أكل في تلك المدة إلا الطين فحسب قصداً لتنشيف الرطوبة وحدة الخنط ، وكنت أبقى أياماً لا يجيئني الغائط ، فاذا جاء كان شبه البندقة من الطين وكنت أخذه وأقول لمن انبسط إليه شمه فانه لا رائحة له ، فكثير ذلك حتى لقيت به ، أرضيت يا ابن الفاعلة .

هذا آخر ما جرى بيني وبينه ، ثم أنشدت له من حماسه :

لا تسرحن الطرف في بقر المها فصارع الآجال (٢) في الآجال (٣)
كم نظرة أردت وما أخذت يدال مصمى (٤) لمن قتلت أداة قتال

(١) أى أزلتها .

(٢) الآجال الأولى جمع أجل : غاية الوقت المعين في الموت .

(٣) الآجال الثانية جمع أجل وهو بقر الوحش .

(٤) أصمى الصيد : رماء فاصابه مكانه

سُحِتْ وما سُمِحَتْ بتسليم ، وإِة لال النجية فمِلة المِقتال
أضَلَّت قَلِي عِنْدَهِن ورجت أذْ شَدِه بذات الضال^(١) مثل ضلالِي
أَلَوِي^(٢) بِالْوِيَةِ^(٣) العقيق على الطلُو ل^(٤) مسائلًا من لا يَجِيب سؤَالِي
تربت^(٥) يَدِي فِي مَقْصَدِي من^(٦) لا يَدِي^(٧)

قودِي^(٨) وَأَوَلِي^(٩) لِي بِهـ أَوَلِي لِي

يَا قَاتِلَ اللَّهِ الدِّمَى^(١٠) كَم من دم

أَجْرِيْنَ حَلَا كَانَ غَيْرَ حَلَالٍ

وَأُنْشَدْنِي تَقَى الدِّينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
الْحِجَاجِ مِنْ شَرْقِيٍّ وَاسْطَ قَالَ : أَنْشَدْنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَنَتْرَ بْنِ ثَابِتِ الْحَلَوِيَّ
الْمَعْرُوفَ بِشَمِيمٍ وَقَدْ قُلْتُ : لَا أُرَاكَ تَذَمُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ فَقَالَ لِي : لَيْسَ
لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عِنْدِي قِيَمَةٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلذَّمِّ إِلَّا مَنْ يَصْلُحُ لِلدِّحِّ وَأُنْشَدْنِي :
قَالُوا نَرَاكَ بِكُلِّ فَنٍ عَالِمًا - فَعَلَامَ حِظِّكَ مِنْ دِنَاكَ^(١١) خَسِيسٌ ؟
فَاجِبْتَهُمْ لَا تَعْجَبُوا وَتَفْهَمُوا كَمْ ذَاذْ نَهْزَةٍ^(١٢) لَيْثِ خَيْسٍ خَيْسٌ^(١٣)

(١) اسم شجر : أى لقد ضللت وضل ضلالى مبالغة .

(٢) أعرج وأعطف

(٣) جمع اللوى وهو ما استدق من الرمل .

(٤) جمع طلال : مدارس من آثار الديار .

(٥) يقال تربت يده لا أصاب خير أو الجملة دعائية . قصد من لا يدفع دية له

(٦) من مفعول قصدى أى فى قصدى من .

(٧) أى يدفع الدية .

(٨) أى قصاصى .

(٩) قيل فى قوله تعالى : أَوَلَيْكَ فَاوِلَى ، أى قاربك الهلاك فهو يريد أحاط بى الهلاك

(١٠) الصورة من العاج والمراد بها الحسنات من النساء .

(١١) الدنيا : الدنيا .

(١٢) النهزة الفرصة .

(١٣) هو الشجر الملتف ، يريد أن لبث الخيس قد يزوده ويدفعه عن فرصته

خيسه ، فعلبه الكثير وأذبه منعاً عنه حفظه من الدنيا

حدثني ابن الحجاج تقي الدين قال : اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم وتوافقوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفاً من زلل يكرن منهم ، فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم : أدام الله أيامك ، فالتفت وقال : إيش ، هؤلاء ؟ فاني أرى عمامكم كباراً ظننتم على آدميين . فسكتوا ، فلما قاموا قال له آخر منهم : ياسيدي ادع لنا بشمل الجميع ، فغضب وقال : : إيش ، هؤلاء وكيف خلقهم الله ؟ ثم حلف بخالقه وقال : لو قدرت على خلقه مثل هؤلاء أنفت ، من خلق مثلهم . قال المؤلف :

حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصل الفقيه فخر الدين بمرور في سنة خمس عشرة وستمائة ، في ربيع الأول منها قال : لما ورد شميم الجلي إلى الموصل بلغني نضله فقصده لآقتبس من علومه ، فدخلت عليه فجري أمرى على ما هو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحد ، وجرت شطوب ومذاكرات إلى إن قال : ومن العجائب استحسان الناس قول عمر ابن كلثوم .

مشعشة كان الحص (١) فيها إذا ما الماء خالطها ضريناً
وكذا قال تهكمأ ، الا قال كما قلت :
وسالت نطاف (٢) الراح (٣) في الراح (٤)
فاغتدى السباح إلى راحتنا فسخينا ،

تم أخرج رقعة من تحت صلاة وقال لي مامعنى قولي ، قلب شطر أعاديك خط من كفر أياديك ، فقلت : أكتبها وأقرأها ؟ فقال : اكتب ، فيكتبها وقلت نعم : شطر ، أعاديك ، : ديك ، وقلبه ، : كيد ، أردت أن الكيد خط من كفر أياديك ، فقال : أحسنت ، وكان ذلك سبب إقباله على بعد ما تقدم

(١) الحص : هو الورس أو الزعفران .

(٢) النطقة : الماء الصافي قل أو كثير والجمع نطاف ونطف .

(٣) أى الخمر .

(٤) جمع راحة : وهى باطن الكف .

من إهماله إياي ، وأنشدني أبو حامد المذكور قال : أنشدني أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر الحلبي لنفسه :

أقبل عثرة الشاكي أقبلي فسولي في سماع^(١) رسول

وان لم تأذني بفكاك أسرى فدليني على صبر جميل

حدثني الآمدي الفقيه قال : بلغني أنه لما قدم الحلبي إلى الموصل ائثال إليه الناس يزورونه ، وأراد نقيب الموصل ، وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد ، زيارته فقبل له ، إنه لا يعبا بأحد ولا يقوم من مجلسه لئلا يبدأ ، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك ، فلم يرد جواباً ، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من الاحتفال له ولم يقيم عن مجلسه ، فجلس النقيب ساعة ثم انصرف مغضباً ، فعاتبه ذلك الرجل الذي كان أشار عليه بالإكرامه ، فلم يرد عليه جواباً ، فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلبي كسرة خبز يابسة وهو يعرض من جانبها ويأكل ، فلما دخل الرجل عليه قال له : بسم الله^(٢) ، فقال له : وأي شيء هاهنا حتى آكل ؟ فقال له : بارقيع من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأى معنى يذل للناس مع غذاه عنهم واحتياجهم إليه .

حدثني الفقيه قال : بلغني أن الحلبي قدم إلى اسمرت فتسامع به أهلها فتصدوه من كل فج ، وكان فيهم رجل شاعر فأنشده الرجل شعراً استعاده الحلبي فقال لقائله : إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك ، فإن كنت في دعواه صادقاً فقل في معناه الآن شيئاً آخر ، ففكر ساعة فقال .

وما كل وقت فيه يسمح خاطرى بنظم قريض يقتضى لفظه معنى

ولم يبع الشرع المبين تيمما بترب وبحر الأرض في ساعة معنا

فقال له الحلبي : ويحك اسجد ، ويلك اسجد ، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر وأنا أعرف الناس بها .

(١) النشا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .

(٢) يدعوه إلى الأكل .

وبما سمعته من فلق (١) فيه وهو من إنشاء خطبة له وهي :

الحمد لله فائق قم (٢) حب الحصيد بحسام سح السحب (٣) . صابغ خد
الأرض بقاني (٤) رشيق يانع العشب ، نافخ روح الحياة في صور تصاورها
بسائح القراح (٥) العذب ، يحيي ميت الأرض باماته كالح الجذب ، لا بقسام ثغر
نسيم انفاح الخصب ، يحل (٦) جسم طبيعة الماء المبارك في أشكال الحب والغيب
والزيتون والقضب ، جال له للأنام والأنعام ، ذات الحمل والحلب ، محلي (٧) جيد
الآفلاك بقلاند دراري النجوم الشهب ، ومجلى (٨) جند الأملاك عن مباشرة
التصرف والكسب ، وللقيام بالواجب واصل التسبيح والتقديس للرب . قابل
التوبة من المذنب المنيب (٩) وغافر الذنب ، الواحد المنفرد بوحديته عن
ملازمة قسمة أعداد الحساب والضرب ، المستغنى بصمدانيته عن مسيس الحاجة
إلى دواعي الأكل والشرب ، الشاهد على خلقه بما فيضون فيه لا لا تصاف بعد
ولا قرب ، المهيمن على مر اجتراح (١٠) كل جارحة وخاطر (١١) خاطر وتقلب (١٢)

(١) فلق (بالكسر وتفتح الفاء) أى: من شق فيه أى شافهني به .

(٢) أى أعالي .

(٣) سح السحب : نهطها .

(٤) أى كسا سطح الأرض بالاحمر الرشيق اليانع من العشب .

(٥) القراح : الصافي ، أى بث الحياة في صورها ، والصور : البوق .

(٦) أى محول .

(٧) أى وزن من الحلية .

(٨) أى مبعد : أى أنه لا تصرف للبلائكة في الملكوت .

(٩) الراجع التائب .

(١٠) اجترح الاثم ارتكبه .

(١١) أى ما يخطر على النفس ، والخطر : البال .

(١٢) أى تغير نزعاته .

قلب ، أحده على ما منح من موضح بيان بما ألب (١) من سويداء لب ، وأشكره على ما جلا من مظلم ظلم جهل ، وكشف من كثيف ركام كرب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة سالمة من شوائب النفاق والخبث ، مؤمنة قائما يوم الفرع الأبر من إبحاش الرهب والرعب ، وأشهد أن محمدا عبده الم محبوب بعقد حبا (٢) ، خاتم أنبياء من جميع أصحاب الصحف والكتب . وصفية المنتخب لنصر الدين وإقامة دعوة الاسلام بالبيض القضب والجرد القب (٣) والأسد الغلب (٤) ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما استحت الغزاة بأفق شرق وحببت بغارب غرب ، صلاة يفنى تكرار عديدها صم الحصا الصلب ، ويبدد أربد الترب ، عباد الله . من اختلف عليه الآباد (٥) باد ؛ ومن تمكنت يد المنون من عنقه نقاد ؛ ومن تزود التقوى استفاد خير الزاد ؛ ومن بدأ ببره وعاد للمعاد فاز بالاحاد (٦) ؛ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ؛ وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ؛ ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ، اللهم نول آمالنا منهاها ؛ وكفل أعمالنا تقاها ؛ وخول (٧) أطاعنا رضاها ، ولا تشرب قلوبنا هوى دنياها ، فإن المعاطب (٨) في حبها ، وشين المجايب ضرر بها ، فلا تجعل اللهم مهامنا فيها المنى ، وآمنا بآمننا من كيد أمنا الدنا ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، أستغفر الله العظيم لى ولسمك ولسائر

(١) أى جمع .

(٢) الحبا جمع حبة . ما يعقد به الظاهر مع الساقين فى الجلسة والمراد بذلك العظمة .

(٣) البيض القضب : السيوف ، والقب جمع قبا . أو أقب ، والجرد جمع جرداء . أو أجرد : الخبل الضامرة القصيرة الشعر .

(٤) الأسد الغاب : المراد بهم الشجعان أو الغلب صفة للأسد من غلب كفرح غلظت عنقه .

(٥) الآباد : الأزمان جمع أبد .

(٦) أى بالحمده والشكر جمع حمد .

(٧) خوله كذا : ملسكه إياه .

(٨) أى الممالك .

المسلمين ، ولو الديق لمن علمنى (١) من لطائف شميم الهزلية أنه أشد لنفسه شعرا وعدد
حاضر من الناس فاستحسنوا ما قال فلم يعجبه ذلك وقال أكثر للحسن أن تفعلوا
هكذا؟ ونام على ظهره وصار يزحف حتى بلغ جدار المكان فرفع رجله وظل
يرفعهما حتى صارت رأسه أسفله كما يفعل اللاعبون .

كذلك بما حدثوا به عنه أنه سمع نائمات في جنازة ميت فقال لمن حضره
ليس ما يقلن بشيء ، ثم صعد على مرتفع في المكان وقال : قوموا وافعلوا مثلى
وصار يلطم على وجهه وينوح والحاضرون ياءنسون به ، والله في خلقه شئون .

عبد الحالى عمر

(١) ائذ كنت نعت على ابن رسول نقل كتابه إلى الصاحب لما فيه من تركيب
غث وتكاف سقيم ، ولكن خطبة شديم الحلى جاءت ضغنا على إباله وهذا الكتاب
في ترجمة ابن رسول

تحية عيد الجلوس

للسامع عمره فرج الجمل

المدرس بمدرسة شبرا الثانوية

ما شئت من ملك وعز وشان السيف في يمينك والصولجان
وأمة تصبو إلى مجدها تفنن في ذكراه أى افتنان
رأمتك تقضى للعلا حقها فابلق بها فيما تروم العنان
في كل ميدان لها راية خفاقة يهفو لها الخافقان
كلاهما في عنفوان الصبا ومجد وادى النيل في العنفوان
فابسط على الآفاق سلطانها واكتب لها النصر ونخر الرهان
ومد ظل الله في أرضه بشرعة الحق ونهج القرآن
تهيأ الملك وأسبابه لعاهل النيل وآن الأوان

يا حامى الإسلام أنت الذى عز بما أوتيته المشرقان
طلعت والملك عقيم فما هرون في الشرق ولا مشارلمان،
والدهر لما أن ثنى عطفه ولج في طغيانه واستهان
راح على ما كان من أمره يلقي المعاذير ويرجو الأمان
وهذه الأيام من رسله وافتك تلقى في يديك العنان
فاقبل من الدهر معاذيره ورد للأيام نعمى الحنان

ترى إذا جزت سبيل الحمى للقصر فالحراس والدَّيْدَبان
وطفت بالأيوان يسبي النهى بما حوى من عبقرى حسان
ولاح رب التاج في عرشه عليه من نسج التقى حلتان
والكوكب الدرى في أفقه يشيع نوراً حول هذا المكان
وحف جبريل وأملاكه من حول رب العرش رأى العيان

يباركون التاج في غيده بنفحة الخلد وريّا الجنان
 فقف وكبر خاشعا ضارعا وارفع مع الاجلال آى التهان
 وانثر أزامير المنى حوله من سوسن الاخلاص والاقحوان
 وطرب الحفل بأغرودة من لحن داود ونسج ابن هان
 وألهم الشعب أهازيجه يشدو بها فى نشوة المهرجان
 ففى أدكار المجد تحلو المنى وفى مثار الفخر تسمو الاغان

يانفحة الشعر أثيبى قى يستلهم القول ووحى البيان
 شمائل الفاروق لا تنتهى عدا ولا يدرى مداها الجنان
 أكلما صورت من خلة ندت عن التصوير والفجر بان
 فما بلغت الأوج من أفقه أحده حتى تلا الأفق ثان
 تتابعت آفاقه للعلا لا الشعر يدنها ولا الشعريان
 كأنه الكون وآلاؤه كواكب من دونها النيران

عيد الجلوس أنت رمز العلا حملت فى معنك شتى المعان
 من فيض يملك استقل الحمى واعتز بالدستور والبرلمان
 وشعبك المختار فى أنعم بالهيل ما يلقى وبالهيلمان
 تفتحت للمجد أبوابه فى البر والبحر وما يحملان
 تهبأ الملك وأسبابه لعاهل النيل وآن الأوان

فاروق دُم للملك فى شوكة والدين، من عادو من كل شان
 وكل عيد تلوّه مثله وكل بشرى إثرها بُشْران

عمراه فرج الحمل

علم النفس

وصلته باللغة والأدب والاجتماع

— ٢ —

الأستاذ محمد خلف الله

المدرس بكلية الآداب

طرق الدراسة النفسانية

أمام الباحث العلمي وجهتان يمكن أن تتجه إليهما جهوده : أولاهما النظر في قضايا العلم الذي توفر على درسه ، والبحث في معضلاته ونتائجه ، والثانية النظر في طرق هذا العلم وخططه . ولكل من هاتين الوجهتين اتصال وثيق بالأخرى ، فإن المعضلة لا تتحدد في شكل علمي إلا إذا وجدت طريقة لعلاجها ، ويتوقف سير النتائج على مقدار الاتقان في خطط الدراسة ، وكلما تقدمت الخطط والنتائج تفرعت منها معضلات جديدة .

ولاختلاف خطط الدراسة تختلف العلوم في سيرها ، بل تختلف شعب العلم الواحد في أهميتها ، فالعلم لا ينمو كشجرة واحدة وإنما يتألف من أجزاء لكل منها حياة خاصة وزمان نضج خاص . وعلم النفس من أكثر العلوم خضوعاً لهذه الظاهرة ، إلا أنه يمكنك أن تقول على وجه عام إن العلم في تقدمه يسير من الوصف البسيط إلى تحديد العلاقات وتنظيمها والوصول إلى قواعد عامة ووضعها في حدود كمية . ولا بد في دراسة أي علم من مادة يبنى عليها الدرس ، وطريقة تعالج بها هذه المادة ، وخطة أو خطط تنفذ بها تلك الطريقة . فأمّا المادة الغفل في علم النفس فهي تصرف الأفراد وحياتهم العقلية ، وتلك يستقيها الباحث من مصادر عدة كالسجلات المحتوية على تواريخهم ،

والمنتجات التي يخلقونها من رسوم وخطب ومقالات وقصائد ، وكالتصرف الذي تدونه الملاحظة أو التجربة ، والأخبار التي يتطوع بها الشخص نتيجة فحصه نفسه ، والذكريات التي يستعيدها عن سابق حياته ، وكالمقاييس التي تحاول ذرع أثر الوراثة والبيئة بأنواعها في حياة الأفراد .

وأما طرق الدراسة النفسانية وخطاها وهي موضوعنا اليوم . فسنبدأ منها بطريقة الفحص النفسى (أو التأمل الباطنى) التي كانت عماد هذه الدراسات حتى أواخر القرن الماضى ، والتي لا تزال موضع ثقة كثير من العلماء الحاضرين . إنه ليس لأحد من الناس اتصال مباشر إلا بعقله الخاص ، فكل منا يحس لذة أو ألماً ، ويفكر وينزع إلى العمل ، ويتذكر ويتقرب ، ويتردد ويختار ، وإذا سلط الواحد منا تفكيره على هذه التجارب الخاصة فى نفسه ، استطاع أن يكون فكرة عن مظاهر عقله وعما يحيش بنفسه من مخاطر وشئون ، واستطاع من طريق المقارنة والقياس أن يعلم أن الآخرين تجارب مثل تجاربه ، وأن لهم عقولا مشابهة لعقله . وإذا لاحظنا ما يقترن بأحوالنا النفسية من تصرف جسمى خارجى ، كالحركات التي تقوم بها الأطراف والوجه والحلق والصدر ، وراقبنا مثل هذه المظاهر فى الآخرين ، وسمعناهم يتحدثون عن التجارب التي تراقفها ، أمكننا أن نصل إلى عدد من القواعد العامة نقرر فيها مقدار التلازم أو الارتباط بين أنواع من التجارب وأنواع من التصرف والحركة الجسمية وأمكننا أن نحكم من غير ما تردد — مما نرى من التصرف — أن هذا الشخص محزون أو مغتبط أو خائف أو متردد أو حائق أو شفيق .

هذه الأنواع من الملاحظة ، ملاحظة الشخص تجاربه الخاصة ، وملاحظته الظروف أو المناسبات التي تحيط بها ، والتعابير الجسمية التي تقترن بها ، كل أولئك يحذفه كثير من الناس ، ويضمنونه أساليب كلامهم ، ويبنون عليه قضايا أو نظريات من شأن علم النفس أن يبحثها فى طريقة علمية ويعرضها على محك النقد والاختبار .

وهذه الملاحظة من جانب الانسان لشئون نفسه والتأمل فيها ، والتعبير

عنها ، كل أولئك إذا جرى على نسق مرتب ونظام مرسوم ، كَوْن طريقة من أعظم طرق الدراسات النفسانية وأجدرها بالقبول والاعتماد . ولقد اهتمدى العلماء قديما إلى هذه الطريقة ، واعتبرها كثير منهم السبيل الوحيدة المجدية التي يمكن بها الحصول على المعارف الخاصة بالعقل . وقد اهتم العلماء في الخمسين سنة الأخيرة بتنظيم هذه الطريقة وصبغها بالصبغة التجريدية ، وذلك بالابتعاد عن الفرد حصول التجارب ثم يحاول ملاحظتها ووصفها بل يعتمد إلى خلق الظروف المصطنعة التي تجر إلى بعض هذه التجارب ثم يراقب سيرها بكل دقة ، ويهتم بوصف كل صغيرة وكبيرة من نواحيها ، وأصبح يستعان الآن على تنظيم هذه الطريقة بالمعمل والأجهزة الدقيقة ومعونة الخبراء من النفسانيين .

والله لا يغيب عنك أن للفحص النفسى نواحى نقص تحد من قيمته والاعتماد عليه ، فإن محاولة هذا الفحص قد تغير من طبيعة التجارب التي نريد دراستها وتفوت علينا الغرض المراد منها ، وتوزع الذات بين جزء ملاحظ وآخر ملاحظ ، ألا ترى أن الشخص المغضب الذي يكاد يتميز من الغيظ والحنق ، لو انصرف إلى التأمل الباطنى والتفكير فى مراحل غضبه وثوران نفسه لحققت فورة ذلك الغضب ولتغيرت التجربة الملائسة له تغيراً كبيراً ! ثم ألا ترى أن محاولة المرء النظر فى بعض تجاربه المؤثرة ووصفها قد يمنع منه انصرافه إلى مشاهدة آثارها الظاهرة ! وهبنا أردنا التغلب على بعض هذه الصعوبات فانظرنا حتى الفراغ من التجربة وزوال تأثيرها ثم حاولنا تذكر ما حصل خطوة بعد أخرى ، ألا ترى أن ذلك يعرضنا لخطأ نسيان بعض الخطوات ، أو خلط الترتيب بين بعضها والآخر ! على أن هناك صعوبة أخرى لا تقل عن سابقتها شأنها ذلك أن التعبير اللغوى الذى يحاول فيه كل منا أن يصف تجاربه الآخر هو فى العادة ناقص وغير دقيق : فاللغة — على اتساع أساليبها وغنى ثروتها ومحاولة الأدباء وعلماء النفس أن يجعلوها أداة كافية فى التعبير — لا تزال يعوزها الضبط والدقة فى وصف المعانى النفسية والظواهر العقلية ، وإذا كانت اللغة قد أثبتت غناها وكفايتها فى وصف الأشياء والحوادث المادية — لأن هذه الأشياء والحوادث

في متناول الجميع ، ويستطيع كل أن يتعرفها ويعبر عنها في قالب يرتضيه الآخرون ويوافقون عليه — فهي لا تزال بعد قاصرة أمام المعاني النفسية . والذنب في ذلك ليس ذنب اللغة ، وإنما هو خفاء هذه المعاني وكون معرفة المرء بهذه التجارب ليس دائماً مباشرة .

أما الفحص النفسى التجريبي فإمامه وراء هذه الصعوبات عقبة أخرى ، ذلك أن من بعض التجارب الحيوية المهمة كالحزن والفرح والنزاع النفسى الأخلاقى ما لا يستطيع إحداؤه بوسائل صناعية إلا في درجة محدودة ، لا تكفى في تحديد طبيعته تحديداً علمياً فليس التكحل في العينين كالكمحل ، وليست النأمة الشكلى كالمستأجرة .

هذه النواحي من النقص في الفحص النفسى أغرت بنقده جماعة السلوكيين الحديثين — وهم الذين يحتمون أن تكون الطريقة العلمية موضوعية ، لا يشوب روتقها الرأى الشخصى ولا التأويل الذاتى ، وأن تكون بحيث يتسنى للباحثين الاتفاق على خططها وتنتائجها — فأخرجوا الفحص النفسى من حظيرة دراساتهم وقالوا إن علم النفس فى معناه الصحيح ليس إلا دراسة التصرف والسلوك ، وإن من بين من يتناولهم هذا العلم الأطفال والشواذ ومرضى العقول والحيوان ، وأنى لطائفة من هؤلاء أن تقوم بفحص نفسى يعتمد عليه فى الدراسات العلمية الصحيحة !

ومهما يوجه إلى هذه الطريقة من نقد فقد أدت ولا تزال تؤدي أكبر الخدمات للدراسات النفسانية ، وقد ظهر أثرها جلياً فى تلك المرحلة الوصفية التبريدية من تاريخ علم النفس ، وهى كما تعلم مرحلة أساسية فى ترقى أى علم من العلوم ، والجمهرة على أن طبيعة التجارب النفسانية والعقلية ، وكون الأحوال الداخلية لكل شخص سرّاً خاصاً به لا ينكشف منه لغيره إلا أقله تجعل من الضرورى بقاء هذه الطريقة ركناً من أركان الدراسات النفسانية .

هذا وكل من المصلح والمربى والاديب يستطيع أن ينتفع بهذه الطريقة انتفاعاً علمياً ويجعلها بعض أسلحته فى الوصول إلى بعض نتائج نظرية وعملية

ذات شأن فانك تستطيع مثلاً - وقد قلت أنا بشيء من هذا في بحث صغير - أن تطلب إلى مجموعة من الناس أن يستذكروا مامراً بهم من صراع أخلاقي ويفحصوا أنفسهم ليتبينوا العوامل التي تتنازعهم أثناء ذلك الصراع من رغبة جامحة أو شهوة عاصفة ، ومن وازع ديني أو اجتماعي ، ومن حرص على شرف أو فضيلة أو مصلحة عامة أو نفع شخص ، حتى إذا وافرك بنتائج فحصهم أعلمت فيه يد التحليل والإحصاء ، وربما خرجت منه بفكرة إصلاحية ، أو نظرية علمية موفقة . وإنك لتستطيع أن تطلب إلى عدد من الشعراء مثلاً أن يراقبوا أنفسهم ساعة تحفزهم دواعي الشعر ويهبط عليهم وحيه ، ثم يصفوا لك ما يتقلبون فيه من شعور وإحساس ، كيف يبدون ، وكيف تنزل عليهم المعاني ، وهل تجيش الخواطر بأنفسهم غامضة ثم يبحثون لها عن ثياب من الألفاظ والقوافي أم تبدو لهم كاملة في حليها وزينتها ، آخذة ألفاظها برقاب معانيها ، وأبياتها بحجز قوافيها ، وأين يفضل كل منهم أن يقرض الشعر : أفى حديقة ، أم مجلس أنس ، أم ساعة خلوة ، أم ساحة معبد ؟ وفي الصباح الباكر ، أم في المساء العصامت ، وتحت ظلال النخيل أم على شاطئ النيل ، فإذا اجتمع لديك عدد صالح من أمثال هذه الملاحظات الباطنية أمكنك أن تفهم طبيعة التجارب الشعرية ، وما يكون فيها بين الأفراد من فوارق أو من صفات مشتركة ، واستطعت أن تدلى فيها برأى تجريبي على يتناوله سواك بالتطبيق والنقد .

وقريب من هذا أن تراقب أنت نفسك أثناء قراءة الشعر أو سماعه لترى طريقة تأثيره فيك ، وما تبعثه الآيات في ذهنك من معان وأفكار وعواطف وانفعالات وصور وأخيلة ، ولتبين هل انصرفت أكثر إلى جمال الجرس الموسيقي ؟ أم إلى دقة المعنى أم إليهما معاً ، وهل كنت ترى نفسك في القطعة عند سماعها ، أم هاجت فيك شوقاً دفيناً ، أم ذكرتك أيام لهُو وشباب ، وهذه تجربة يمكن أن تجرى على عدد كبير من الناس ويمكن أن تكون نتائجها عرونا لمدرس الأدب أو باحثه على تبين عناصر التأثير في الأدب من جهة ، وعلى نواحي التفكير والأهواء التي تثيرها أنواع خاصة من الأدب في نفوس طلابه

من جهة أخرى ، ثم على كشف المراحل المتعاقبة من الشعور الذى يمر به قارى .
الآداب أو سامعه من جهة ثالثة .

وبعد فهل لك فى شئ من التطبيق لبعض هذه النواحي ؟ اقرأ هذه الآيات
الآتية (لابن خفاجة الأندلسى) فى تمهل وأناة وبصوت تسمعه ، ثم راقب
ما يجيش بنفسك من الصور والمعانى والذكريات عند قراءتها ثم دون ملاحظتك
بعد الانتهاء ، واذكر ما قد يعترضك من صعوبات فى الفحص النفسى ، ثم
قارن ملاحظتك بيمض ما ساء ورده عليك من ملاحظات فريق من طلبة السنة
الأولى بالجامعة المصرية ، « فريق من طلاب إجازة التدريس فى كلية اللغة العربية
بالجامعة الأزهرية : وهاك الآيات :

وأرعن طراح الذؤابة باذخ	يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة	ويزحم ليلا شبه بالمنكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه	طوال الليالى مفكر فى العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمام	لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصختُ إليه وهو أخرس صامت	فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال : إلى كم كنت ملجأ قائل	وموطن أوأى تبطل نائب
وكم مر بي من مدج ومؤب	وقال بظلى من مطى وراكب
ولاطم من نكب الرياح معاطن	وزاحم من خضر البحار غوارب
فما كان إلا أن طوتهم يد الردى	وطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خفق أيبكى غير رجفة أضلع	ولأنوح ورقى غير صرخة نادب
وما غيض السلوان دمعى وإنما	نزفت دموعى فى فراق الصواحب

ثم هاك بعض الملاحظات - وأترك لك أن تميز أنت الجامعى منها من الأزهرى
(الطالب ١) و بما مر بخلدى تصوير الدنيا فى سرعة زوالها بابتساف الأشياء
حيث نزع عن الإقامة بها كل سفر ضربوا أكباد الأبل قطعا
لأجوازها ومفاوزها . ثم خالجتنى فكرة خلو الجبل وكيف أنه
بقى مقفرا وستئول جميع الأماكن إلى ما آل إليه ، ثم اعترانى

وجيب في الفؤاد لم أتحقق مأناه ولكني أظنه جاء من رهبة الموت وجلال سطرته . ثم أخذتني نشوة من الطرب حينما أحسن الشاعر التعليل بمجمله أصوات اللابل نوحاً على فراق الأحبة ، واهتزاز الأيك رجفة وأسى في حنايا الضلوع .

(الطالب ٢) « أثار حديث ابن خفاجة في نفسي ذكريات الألم لفراق الصعبة والاخوان ، كما أنه رسم في ذاكرتي صورة الرجل الوقور تمر به أحداث الأيام فلا ينزعزع والظريف في هذا أنني في بعض أياته رأيته واقفاً أمام رجل من الذين يمشون في الأسواق ومن يتسبون إلى بعض مشايخ الطرق يرتدى قلنسوة سوداء لفت عليها عمامة حمراء . »

(الطالب ٦) « شعرت حينما سمعت وصف الشاعر الجبل بحالة نفسية محزنة ... ثم أثار الوصف في نفسي ذكريات الطبيعة الجميلة ... وقد كان ذهني موزعاً بين فهم الالفاظ ومراقبة الحالة النفسية . أما تسجيل ما قام بذهني مع الحالة النفسية التي كانت عندي فغير محدود تماماً ، (الطالب ١٥) « اعترتني مسحة من الحزن وأعوزني أن أعبر عن حقيقة ما خالج نفسي ، وشعرت كأن هذا الجبل الصامت إنسان فخور بنفسه يأوى إليه الضعيف والمسكين . وقد ذكرني بأهم أخني عليها الدهر بكل كلكه . »

(الطالب ١٦) « خطر بنفسى اختلاف مشارب الناس ، والرهبة والرهبان ، وذكرت البيتين رب ركب قد أناخوا حولنا ثم ذكرت قول المعري :

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما نرى :

نهار يمر ، وليل يكر ، ونجم يغور ، ونجم يرى

وقد كنت محسباً جمال الأسلوب والمعنى ... ولا أدري ماذا كان يحول بنفسى لو لم أكلف مراقبتها . »

(الطالب ١٧) ، تخيلت إني في صحراء واسعة الأرجاء يحثم في جهة منها جبل

ضخم يطاول السحب . أعقب هذا الخيال سرور بدقة الوصف وحسن التعبير ... وقد شعرت بأن ما نسبته أكثر مما كتبته .

(الطالب ٢٠) ، تذكرت أول ما تذكرت أياماً من صباي ، ولكني لم أعرف

شيئاً عن تحديدها ، وقد ذكرني كلامه عن الريح بمطالعاني عن الريح في جزيرة العرب وما كان من شأنها مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ... ، .

(الطالب ٢٢) ، لقد سمعت هذه الآيات بتلف لمعرفة ما يحيش بخاطري

وما يحيط بشعوري من الذكريات ، فاذا أنا أشعر بالوحشة إلى هذه البلاد وآسى على ما أصاب أهلها من نوائب الدهر . وتصورت الجبل ينمى أهل ذلك العصر الذهبي العظيم . ولقد ذكرت مواقف انقبض صدرى فيها وآلمني منظرها فقد رأيت أحد أعزائي وقد نكبه الدهر في عزز لديه ينتحب ويبكي بكاء مرأ فخر في نفسى ما رأيت ... ،

(الطالب ٢٣) ، الحقيقة أن إعجابي بجودة الالتقاء شغلني عن كثير من نقط القطعة

فلم يطرأ على ذهني إلا تمنى أن أكون شاعراً عظيماً ... ولقد تذكرت الفرق بين حالة أسبانيا في الماضي وما تعانيه الآن من أهوال الحروب ... ولقد وجدت صعوبة كبيرة في الكتابة ، كيف أبدأ وأى شيء أكتب ، أعن اختلاف الناس بين عاشق وحزين ! ... ،

(الطالب ٣٠) ، أصبحت إلى الالتقاء مستجمعاً أفكارى فما بدأ البيت الأول حتى

حسبت أن الشاعر قد انتهى كل لفظ من الأناظر سم جمعها في عقد ساحر مما دعاني إلى الانتباه فانتهت فاحسست أن في صدرى شيئاً يتراعى كلما سمعت ابن خفاجة وهو يتخيل هذه المحادثة الخالدة بينه وبين الجبل الشاخر ... ، ثم أثرت أخيراً الشكاية في

صدرى فاحسست رعدة من الحزن تسرى في جوانبي ... وما انتهى
الالقاء حتى شعرت أنى كنت في دنيا من الروعة والحسن والجمال
العبرى النادر .

(الطالب ٣١) « تصور لى فى مخيلنى منظر رجل معمم جالس فى ظلمات الليل
يحدث رجلاً مسافراً على ناقه تبدو عليه علامات الذعر والخوف
ثم تذهب عنه علامات الخوف ويتبدل وجهه الشاحب إلى وجه
تظهر عليه علامات الدهشة والعجب ... » .

(الطالب ٣٢) « هذه القطعة تذكرنى قيساً حين هام بليلى وذهب حيث لا يعرف
سبيله وقد سدت فى وجهه الطرقات حين فوجئ بـعدم رضا
ليلى عنه ... » .

(الطالب ٤٠) « ابتداء ابن خفاجة فأعطانا تصوراته للطبيعة وما يحيط بها من
جبال شامخة وليل طويل . وقد تصورت، الجبل كملاق شامق
وقد النف برداء أسود هو الليل ، وتذكرت الوحشة التى يلقاها
المسافر وحيداً لا أنيس له إلا صوت الطبيعة ومناظرها . وما
القطعة التى سمعتها إلا شئ . تألف من كلمات وألفاظ أخذت
موسيقاها تتراقص فيما بينها فهاجتني بعذوبتها وانسجامها . ولا
أدرى إلى أى مدى قذفت نى هذه الالفاظ فقد انتقلت إثرها عما
أنا فيه إلى طبيعة كلها سكون وحشة . » .

(الطالب ٥٠) « تصور الطبيعة فوصفها وصفاً جميلاً من ليل بهيم وسماء صافية
ثم وصف الصحراء وما يكتنفها من مظاهر خلابة جميلة ، من
هبوب الرياح والهواء المنعش ، ووصف حاله وهو وحيد تمر به
قوافل المسافرين ثم تحسر على فراق الأحبة . » .

هذه بعض نماذج من نتائج الفحص النفسى ولعلك بعد قراءتها تقر معى أن
لهذه الطريقة العلمية جانبها الممتع اللطيف .
محمد خلف الله

السيرة محمد إقبال

رحمه الله

للمؤلف عبد الوهاب النجار

منذ أيام توارت شمس من شمس الهداية بالحجاب ، وسكن قلب كان لا ينبض إلا بأحياء الاسلام ولا يخلج إلا بمجد الاسلام ولا يعيش إلا بأمل إعلاء شأن الاسلام وإنعاش أهل الاسلام .

كان شاعر الهند وفيلسوف أهل الهند ومعقد رجاء أهل الهند عامة وأهل البنجاب خاصة ، والقبلة التي يولى الشباب في تلك الديار وجوههم شطرها ويهديه يعملون وعلى نهجه يسرون .

لم تكن معرفتي بالسيد إقبال حديثة العهد ، فقد كنا في المؤتمر الاسلامي بفلسطين أعضاء في سنة ١٩٣٠ ، وجاء إلى مصر والتي بجمعية الشبان المسلمين محاضرة كان لها الوقع الحسن عند السامعين ، ألقت ضوءاً لامعاً على أحوال المسلمين في الهند ومقاصدهم .

وقد كان السيرة محمد إقبال أول من فكر مولانا صاحب الفضيلة الشيخ الأكبر في الاستنارة برأيه في مسألة المنبوذين وجاء رأيه إلى الشيخ ، ولتعدد وجوه الرأي على الأستاذ أرسل البعثة الازهرية لدراسة المسألة عن كسب وتعرف وجه الرأي فيما يمكن عمله ، وقد اتصلت به البعثة في لاهور وقضت بضع ليال في الوجود معه ودراسة المسألة بعنايته وإرشاده .

وقد رجعت إلى مذكرتي اليومية التي كنت أكتبها عن أيام البعثة في الهند فوجدت ما يأتي :

يوم السبت ٢٣ يناير سنة ١٩٣٧

في الصباح الباكر من يوم السبت ٢٣ يناير سنة ١٩٣٧ وفي صبرة البرد

القارس وقف بنا القطار في محطة صغيرة قريبة من لاهور، فاذا نحن بثلاثة فتان أحدهم طيب والآخران من الكلية الإسلامية بلاهور قد جاءوا إلينا وأسنانهم تقضض من شدة البرد، فسلموا ورددنا تحيتهم بأحسن منها، وجلسوا معنا وقد علمنا أنهم قد باتوا في هذه الضاحية من أول الليل ليبادرونا بالتلقى وليأخذوا منا وعداً بالقاء كلمات أو محاضرات عليهم لأنهم من طلبة العلم وأولى الناس بأن يكون حظهم منا أوفر؛ فوعدناهم بتسنية طلبهم وأبدينا أسفنا لما لا قوا في سيلنا. وبعد دقائق معدودة كنا في محطة لاهور. وكان في استقبالنا جمهور من أفاضل الطلبة ومحرفي الصحف وغيرهم ومنهم السيد محمد الهاشمي وبعد أن ألبسونا العقود الزهرية راغ السيد محمد الهاشمي روجه فأتى إلينا بسيارة يسوقها سرى من سراة البلد لتقلنا إلى الفندق، وكان ذلك السائق هو نجل السير سكندر حياة رجل الساعة في البنجاب، وقد صار رئيس الوزراء في هذه الناحية فيما بعد ف شكرنا لها هذه الأريحية. وقد كنت في النصف الثاني من السنة الماضية أرسل بخطابات منى إلى السيد الهاشمي ليوصلها إلى السيد أحمد على المباري الذي كان طالباً في الأزهر قبل ذلك.

وبعد أن استقر بنا المقام في الفندق وصل إلى كتاب كريم من صديقي وابن صديقي الأستاذ أحمد صادق بكر مراقب قسم الانتاج بالاسكندرية يذكر لي أنه لقي خان بها دور الكلوئيل مقبول حسن قرشي وزير الحقانية بيهاولبور ووزير المهام الخاص لسمو النواب وقد ذكر له البعثة وصداقتي له ولوالده من قبل فطلب منه الوزير عنوان البعثة ليرسل إلى النواب ليطلبها إلى بلده. وذكر له أن النواب معنى بالأمور الإسلامية وأكد على صادق بكر بأجابة طلب النواب متى أرسل إلينا.

وفي هذا اليوم ذهبنا جميعاً إلى السير محمد إقبال شاعر المسلمين في الهند وفيلسوفهم فائقنا معه برهة طويلة من الزمن، والرجل مريض قد ذهب صوته إلا قليلاً ونحل جسمه ولكنه كبير الروح عظيم الشخصية كما عهدناه من قبل وأن ذلك الجسم الذي نهكته الأمراض لازال يحمل عقلاً صحيحاً وروحاً سليماً ورأياً

ناضجاً وكنا نريد عدم إطالة الحديث إشفاقاً عليه ولكنه كان يأنى إلا أن يسترسل وقد أتى بخريطة بلاد الهند وكان يضع يده على كل قسم من الأقسام المهمة ويتكلم عنه وعن أهميته والحال النفسية والدينية لأهله وما الذى يرجى لأهله فى المستقبل ومن فيه من المنبوذين والكيفية التى يصلح العمل بواسطتها فى كل إقليم من الأقاليم . فتكلم على سوريات داسام وبرما وتاجبور وحيدرآباد وترافكور وغير ذلك ، وتكلم عن نفسية الهنادكة وما يعضرون من الشر لأهل الاسلام فما اثبتته من قوله ، إن الهنادكة يزعمون أن المسلمين لهم رغبة صادقة فى بقاء الانكليز حكماً فى البلاد لخوفهم من أن تخرجهم قوة الهنادكة الذين هم الأكثرية الساحقة .

والحقيقة أن الرغبة الصادقة فى بقاء الانكليز فى الهند إنما هى صادرة من الهنادكة ، وذلك أنهم يخشون جانب الأقلية الاسلامية الفقيرة ، أما كونهم يحسبون الحساب للأقلية الاسلامية أن تفتك بهم فلا يهم يعرفون حق المعرفة قوة المسلمين وجراتهم على القتال إذا جد الجد ؛ ودائلي على ذلك أن السنج أخذوا مسجداً إسلامياً ووضعوا أيديهم عليه وحاول المساوون استرداده برفع الشكايات إلى الحكومة فلم تنلهم حقهم فعولوا على أن يحكروا جلدهم بظفرهم وأن يتولوا أمرهم بنفسهم وأن ينزعوا المسجد من يد السنج عنوة فجاء البوليس لرد المسلمين بقوة السلاح وأطلق عليهم الرصاص فأصاب اثنين وعشرين من المسلمين كانت كل إصاباتهم فى صدورهم ولم يوجد بينهم من أصيب وهو مول ظهره ومثل هذه الجراءة وهذه المعادة لا توجد فى الهنادكة مطلقاً — وعلة كون المسلمين فقراء أن الحكومة الانكليزية حين وضعت يدها على هذه البلاد لم يقم لمنازعتها سوى المسلمين فلما ملكت ناصية الحال استهدف المسلمون لعسفها وجورها ونزعت أموالهم من أيديهم بالقوة وصيرت أموالهم وأراضيهم فى أيدي الهنادكة وكف المسلمون عن التعاون معها فاستعانوا الهنادك فأعانوهم .

وحينئذ وجدت الفرصة سانحة لاثراء الهنادك إثراء فاحشاً وبقي المسلمون فى فقر مدقع وصارت دنيا الهند فى أيدي الهنادك بالتجارة والوظائف الحكومية

وأملك المسلمين التي أصارها الانكيز إلى الهنادك وزاد في حال المسلمين سوءاً أنهم نفروا من الانكيز نفرة شديدة وأبوا أن يتعلموا في مدارسهم فسبقهم الهنادك إلى كل وظائف الدولة ومرافقتها - وكل ما يخشى عليهم الآن مما بقي في أيديهم أن تفتر عزائمهم بיעدهم عن الدين الذي هو القوة الباقية والحصن الواقى ونحن نريد أن نغذيهم بالدين لتبقى لهم القوة ويبقى الدين قوياً فيهم ولهم ،

فقلنا له - وهل من برهان قاطع على ما تقول من أن المسلمين غير مبالين إلى الانكيز كما تقول ؟

فقال : إن أمثال هذه العواطف والميول لا يكتب بها صك ولا تسود في بطون الكتب ولا تخلد في الدفاتر - ثم سكت قليلاً وقال - قد وجدت البرهان حاضرًا فاذهب فأعلم أنك ستلقى محاضرة في المكان الفلاني في الساعة الفلانية تنقد فيها السياسة الانكليزية ثم انظر من الذين يتهاقون على سماع المحاضرة الانتقادية ، لاشك أنك تجد عدداً لا يحصى من المسلمين قد حضروا إلى المكان في الموعد وإنى لاشك أن يوجد ثلاثة من الهنادك .

ثم اذهب وأعلم أنك ستلقى محاضرة في زمان كذا ومكان كذا تبين فيه محاسن السياسة الانكليزية ثم انظر من يحضرون إلى المكان الذي أعد المحاضرة فلا شك في أنك تجد عدداً لا يحصى من الهنادك ولا تجد ثلاثة من المسلمين ، فقلنا إذا ينحصر ضعف المسلمين في قلة عددهم وفقرهم وجهلهم ، فقال : : إن قلة العدد لا تخيفنا ، فان المسلمين إذا جتمعوا وكانت قلوبهم متحدة فان خطر القلة لا يؤبه به . والفقر ليس مما يخيفنا فانا نراهم إذا جد الجد يقدمون على العظام بلا خوف ولا وجل وإنما الخوف كل الخوف من أن تتراخى فيهم الحمية الدينية والذي يهمننا الآن أن نشرب قلوبهم الحمية للدين وأن يشعروا بالعزة الاسلامية وأن يوقنوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

إن البعثة الازهرية جاءت إلى هذه البلاد أحوج ما كانت البلاد إلى مجيء مثلها ، وإن قدومها ليشعر قلوب المؤمنين أن الاسلام له بقية وأن له أنصاراً

يعاضدونه ويحرصون على إشاعته وإذاعة فضائله من وراء البحار ،
ومن الأدلة التي أقامها على تعويل الهنادك على اعضاء الهنادك بالقوة
الانجليزية أن المسلمين في كشمير يزيد عددهم على ٩٠ ٪ من سكان البلاد
يحكمهم مهراجا وثنى ونسبة عدد الوثنيين هناك لا يزيد على ١٠ ٪ . فلما قام المسلمون
منذ عهد قريب طالبين إسقاط المهراجا وأن يكون الحكم في البلاد للاغلبية
المسلمة التجأ المهراجا إلى الانجليز طالبا منهم حمايته من الاكثرية من رعيته
فقبل الانجليز أن يحموه على شرط أن يقبل وجود مستشار إنجليزي ، فرضى بما
طلبه الانجليز وصار المستشار الانجليزي بيده كل شيء في تلك البلاد وله الأمر
النافذ على المهراجا الهندوكي .

قال السير إقبال : على أثر ذلك ذهبت إلى رجال الحكومة وقابلت نائب الملك
وقلت له : إن كان قصارى جهدكم أن تكونوا حكاماً فقط فاسمحوا لي أن أرسل
خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين ليهاجموا كشمير ويقتلوا الأقلية الهندوكية ثم
تفضلوا أتم واحكموا تلك البلاد ولا تكون محكومة بأقلية ضعيفة من الهنادك ،
عندئذ قلنا للسير إقبال : إن ما تقوله بشأن بلاد كشمير يقوله الانجليز في
الولايات التي يحكمها من المسلمين والمسلمون هناك أقلية . فكان جوابه أن الحكام
الذين يحكمون أ كثرية هندوكية كانت الفرصة سانحة لهم ولآبائهم وأجدادهم
بان ينشروا دعوة الاسلام حتى يكون الاسلام أ كثرية ساحقة ولكن القوم
ألهام التكاثر في الأموال ورضوا بما أحاطوا به أنفسهم من عزة الملك وأبهته ،
وقصروا في واجبه الديني ومن العدل أن يتجرعوا الكأس المرة التي هي
عصارة تقصيرهم في حق دينهم ، إهمالهم لشأنه فلا تبالي ما يصنع معهم .

ثم قال : ومن الأدلة على أن الهنادك يريدون أن يزيلوا الحكم الفعلي
الانجليزي مع بقاء الحكم الاسمي فقط للانكليز وأن يكون تحكمهم في مستقبل المسلمين
لا معقب له وأن يتناولوا الكستنا من النار بمخالب الهر الانجليزي . وأن بعض
كبار الرجال من المسلمين عرض على رجال الكونجرس الذي يصدر الهنادك
عن رأيه أن يكون الحكم في الولايات التي أ كثريتها من المسلمين في يد الاكثرية

الاسلامية مع ضمان حقوق الاقليات ، والولاية التي أكثرها هندوكية حكومتها تكون بيد الاكثرية الهندوكية مع حفظ حقوق الاقليات الاخرى ؛ فلووا رؤوسهم وأعرضوا .

وقالوا نريد أن ننسى الدين وأن يكون أهل بلاد الهند كلهم وطنيين هندیين وأن يكون الحكم الفعلي بيد الاكثرية الهندوكية التي يمثلها الكونجرس والحكم الاسمي للانجليز في نظير أن يحموا الهند من الدول الاخرى المجاورة والافغان وإيران، أى أن يكون الانجليز بوليساً حريياً لوقاية حدود الهند من إغارة جيرانهم في نظير الاعتراف لهم بالحكم الاسمي . وبذلك يقضى على المسلمين في الهند قضاء لا مرد له — على أن كثيرا من قادة الرأى من الهنادك لا يخفون نياتهم السوداء وما يضمرونه من السوء للمسلمين فهم يصرحون من فوق منابر الخطابة أنهم متى نالوا الالة تقلال وحكموا البلاد فانهم لا يبقون في الهند مسلما لأن المسلمين دخلوا طارتون على هذه البلاد . وقد صرح بذلك مونجى وغيره من زعمائهم في السنين الاخيرة . ومما حدث أخيراً (اى ونحن في الهند) ان الزعيم جوهريال (وهو ابن الزعيم مرتبلال نهرو) وهو شاب معمور الفؤاد بالهندوكية والبولشفية معاجاء إلى لاهور في أثناء الانتخابات وكان بجيئة إليها من مدراس طائرا فلما وقف لالقاء إحدى خطبه الانتخابية قال (إن في الهند قوتين تتنازعان : الكونجرس والحكومة الانجليزية) فرد عليه الزعيم المسلم الكبير (السيرة محمد على حتاح) قائلاً إنك نسيت قوة ثالثة قوية وهى القوة الاسلامية فان ثمانين مليوناً من الناس قوة يحسب العاقل حسابها ، ولكنك معذور لأن عقلك طائر بين بنارس الهندوكية وموسكو البولشفية — ومما ساقه السيرة إقبال على أن الفقر والقله لا يهدان عزائم المسلمين أنه لما قام النزاع بين المسلمين والسيخ على مسجد بلاهور ، قامت قبائل الوزيرية وهم من القبائل الضاربة في الجبال المحيطة بمضيق خيبر وهذه القبائل يحسب الانجليز لمقدرتها الحربية ألف حساب وحساب ، وطلبت من القوة الانجليزية أن تبرز لحرهم ، وقد استعد الوزيرية للحرب استعدادا عظيما فلم تبرز لهم القوة الانجليزية مع إلحاح الوزيرية في الطلب فأرسل الوزيرية إلى السيرة إقبال خطابا (وكان (٤ — صحيفة دار العلوم)

في هـو قال) يقولون له: إنا نعلم إنك صديق الانجليز وقد خرجنا مستعدين لقتالهم فلم يبرزوا لنا فخرجوك أن تقنعهم بأن يبرزوا لقتالنا . وفي النهاية ذهب إليهم كبير الضباط في منطقة الحدود وسألهم عن سبب تهيئهم لحرب الانكليز وهم لم يأتوا موجبا لذلك ؛ فقالوا له : كيف تقول هذا وأنتم أعطيتم السيخ مسجد المسلمين به فقال : إن المنطقة التي نحن فيها لم يكن بها مسجد أخذ السيخ وهذا الحادث إنما هو في لاهور فقالوا له إذن دعنا نذهب لمحاربة السيخ في لاهور فلم يزل بهم حتى أقنعهم بأن ذلك ليس من اختصاصه وأن المسألة قد انتهت ولم يبق لها أثر . ثم قال السير إقبال أن الهنادك يحرقون الحرص كله على شيئين : هما تركيز المال في الهند في أيديهم ، ونظام الطبقات . ولكن من سوء حظهم أن العالم في هذا العصر تلتقي فيه موجتان تريد كل منهما أن تغطي على الأخرى وتزيل أثرها : إحداهما الديمقراطية وهي إذا قويت واجتاحت الحدود إلى داخلية الهند أزال الارسوقراطية الهندية وقوضت نظام الطبقات وأنت على بنيانه من من القواعد ، والثانية البلشفية وهي إذا تغلغت في الهند أزالت الرأسمالية وبذلك ينهار غنى الهنادك و ثراؤهم وتصبح أيدي الهنادك مما عقلت به صفراً

على أن كثيراً من المسلمين قد اغتروا بسفستة الهنادك التي يخفون وراءها كل نية سيئة ينوونها للمسلمين ، وقالوا بما يقوله رجال الكونجرس من اعتناق الوطنية الهندية واطراح الأديان جانباً مثل الدكتور الصاري عليه رحمة الله ، ولكنهم كانوا مخطئين وقد رجع بعضهم إلى الصواب نابذاً تلك الفكرة وقد ذكر لنا السر إقبال مسألة لا يعلمها كثير من الناس وهو أن الانجليز لما دخلوا في غمار الحرب العظمى احتاجوا في الميادين الأوروبية إلى قواتهم التي كانت في الهند فلم يبق لهم في تلك البلاد سوى خمسة عشر ألفاً كانوا يطوفون بها في إحدى المدن نهاراً ، ثم تسافر إلى مدينة أخرى ليلاً ثم يحملونها تطوف في شوارع تلك المدينة في يوم آخر ، ثم تسافر إلى مدينة أخرى ليلاً ؛ فكانت كل مدينة يعتقد أهلها أن الجند المقيمين عندهم خمسة عشر ألفاً في حين أن جميع الجند في الهند يبلغ خمسة عشر ألفاً .

ومع هذا فقد خشيت حكومة الهند أن ينقض عليها جيرانها وهي على تلك الحال ، فأرسلت رجلاً من الضباط العظام فعمد معاهدة مع حبيب الله خان في كابل تعهد فيها بأن لا يهاجم حكومة الهند؛ فكان ذلك سبباً في اغتياله بطريقة لم تزل من الأسرار الغامضة . وقصارى القول أن السيرة محمد إقبال كان رابع الإيمان بأن الأقاليم الشمالية من بلاد الهند التي أكثريتها إسلامية لا مناص من أن يأتى عليها وقت تكون مستقلة فيه على نسق الولايات المتحدة ، وهى البنجاب وكشمير وولاية الحدود والبنجاب والسند وبلوخرستان وقد وضع لها مقدماً اسم (باتستان) أى الأرض المطهرة أو أرض القداسة وكان يصرح بذلك للانكليز أنفسهم . والسيرة إقبال من الأفراد القليلين الذين كتبوا صحيفة حياتهم بأحرف من نور، لم تؤخذ عليه فى حياته الخاصة أو العامة هفوة أو نبوة أو كبرة بل كان جهاده لدينه وأمه وللإنسانية مخلصاً مجاهداً فى الله حتى وافاه الأجل المحتوم، وقد دفن فى باد يشاهى مسجد وهو أعظم مسجد رأيناه فى لاهور أنشأه المرحوم ساهجات المغولى وله حوالى ثلاثمائة سنة وعلى جانبيه الشمالى والجنوبى حجر يبلغ عددها فى كل جانب عشرين حجيرة وقد طال تأملى فى تلك الحجر حين صليت الجمعة فى ذلك المسجد يوم ١٩ يناير سنة ١٩٣٧ وكان ظنى قد سبق إلى أن تلك الحجر كانت مساكن لطلبة العلم ولكن منعى من ذلك أنها لا أبواب لها فادركت أنها تحتوى قبوراً لأولى النباهة والفضل فرحمه الله رحمة واسعة وعزى آله والمسلمين فيه عزاء جميلاً .

« من مذكراتى عن البشة الأزهرية فى الهند »

عبد الوهاب النجار

لبنان

الأستاذ عبد الحميد زيدان

المدرس بكلية الفاسد الإسلامية ببيروت

هبطت دوحكم من قمة الهرم
في أيكة الأرز تشدو كل صالحة
مناظر تخلق الفصحى وتبعثها
سحر حلال تراءى في تماثله
أوحى الخيال ربي طاف النمام بها
كأن هاروت ألقى سر صنعته
تفتح الزهر فوق الطود وازدهرت
كأنما جنة الفردوس قد خلقت
من جاء لبنان فليظفر بجنته
وليحمد الله لا يكفر بنعمته

فإن في الدوح تفريدا لدى النغم
وفي ربي الأرز ترنيم لمنسجم
وتنفث السحر في ثمر ومنظم
نغاله الناس منظوما من الكلام
تخلف السر في القيعان والرتم
بكل رايحة منهلة الدائم
بدائع الروض تكسو على القمم
في سفح لبنان للموعود بالنعم
في هذه الدار قبل الموت والعدم
وليحي فيها بقلب شاكر وفم

أزهي من النهر يحكي ثغر مبتسم
أيمحتني بهزار النيل في جبل
ينمو بأرض كرام من ذوي الرحم
أم هل يذاد طريد البوم عن شجر

فهم بنو الدين والفصحى لقد مزجوا
 شمّ الأنوف إلى غسان قد نسبوا
 تلقى الوجوه من الإيمان مسفرة
 كادت سماحتهم تنسى الفتى وطنا
 وفوا بعهدهم لله واصطبروا
 ما فرطوا في كتاب الله أو تركوا
 بل جاهدوا في سبيل الله وأتمروا
 مقاصد الخير تبدو في فعالهمو
 أنكرم بقوم تولى أمرهم عمر
 كأن شيعته الأنصار قد نصرروا
 عزّوا نفوسا فسادوا في تواضعهم
 بالاتحاد تواصى القوم فاتحدوا
 ببرهم صيروا بؤس الفقير غنى
 حازوا الفخار ببرديه فما تركوا
 ليس الفخار بملك أنت تملكه
 سحر البيان بحسن الخلق والشم
 سيم عروبتهم في ذلك الشم
 يبدّد النور منها حالك الظلم
 لولا محبته لانحاز للكرم
 على عوادي الليالى رافعى العلم
 من سنة المصطفى بابا لمقتحم
 على الصلاح يذل المال والهم
 وقاصد الخير لم يكسل ولم ينم
 وبالسّمى تداعى هيكल الصنم
 من قام يدعو إلى الإسلام بالحكم
 بعزة النفس والأخلاق والقلم
 وأصبح الجمع منهم جدّة ملتئم
 وعطفهم نعم الأيتام باليُتم
 للناس من بعدهم غنا لمغتم
 لكن بفضل ينجى الناس من ألم



كنانة الله ترجو نصر إخوتها
 فأرسلت من سهام النيل أصلها
 وتبتغي للعراق الخير والشّام
 عودا ليرمى بها في الحادث العم

فسدّوها إلى المعجبى بساحتكم
تمزّق الجهل والإلحاد في زمن
من حرف القول أضحى عالما فطنا
كانما بدعة التجديد عندهم
لكن مصر أعز الله دولتها
« دار العلوم » بها أدّت رسالتها
عزّ البيان وعزّ الدين واكتسحت
فلن ينال عدوّ الضاد بغيته
تأبى زعامة مصر أن تهادنه . حتى يخرّ لها في موطن القدم

دين الخيفة سمح في مخالطة
ما ضاق صدرا برهبان ولا قفس
لكنه علّم مرّ إذا انتهكت
دين السلام فعيشوا في سماحته
لا تنفثوا سمكم فيه فتفسده
محضتكم نصح من يرجو مودتكم
نزله دائما في الأشهر الحرم
خلّوا شعائره موفورة الحرم
تلك الشعائر من عاد ومجترم
في ظلّ شعب بحبل الله معتم
تلك السموم وإن آذته يضطرم
ليس الذي ينشد الحسنى بمتهم

على الكنانة دين حلّ مواعده
ونيلها للوفاء أنهار بالأطم

يشقى ليوفى لم يخفر بذمته ودائن النيل لا يرتدّ بالنّدم
 فإنّ عمرًا أتاها في دجّتها فأشعل النور في الوادي وفي الأكم
 وفكّ قيدا وأغلا وأطلقها من ربقة الظلم والإرهاق واللّجُم
 فكان حقّا عليها نصر منطقته ودينه في دياجى دهرها الهرم
 هذا وفاء بدين العرب تعرفه مصر ولا تتناسى كاشف الغم
 فإنّ رأيتم بذيها اليوم قد وفدوا فإنما حملوا بعضا من الذم
 جاءوا شبابا وليسوا من مشايخها يمثلون شباب الملك في عظم
 قد بثّ فاروق في الدنيا فتوته عزّ الشباب وسامى حكمة الهرم

« بيروت »

عبد الحميد زبرانه



العفو في الإسلام

نظرية مستنبطة من الآيات القرآنية

التي ورد فيها ذكر العفو

بفلم الأستاذ محمد مهدي علام

مدرس اللغة العربية بجامعة مانشستر

تمهيد:

وضعت نواة هذا البحث في بضع صفحات منذ ست سنوات في أحد كتيبي^(١)، ولكنني كنت أشعر دائماً بأن للنظرية بقية يجب أن أترجمها من ذهني إلى القرائين وقد أتاحت لي جامعة مانشستر فرصة المحاضرة في هذا الموضوع للأهل العلم، فكتبت ما أعتقد أنه رأي الأخير في هذه النظرية التي ملكت على نفسي منذ عدة سنوات. ولكنني ما فرغت من تسطير النظرية بالإنجليزية حتى شعرت بأن في عنتي ديناً لقراء العربية عامة، ولقراء صحيفة دار العلوم، خاصة؛ فشرعت أكتبها بالعربية، وهأنذا أقدم بها لقراء العربية كما تقدمت بها لقراء الإنجليزية.

الغرض من العفو:

إن البحث في الغرض من العفو يدعونا للبحث في الغرض من العقوبة، وحسبنا أن نذكر هنا أن المشرعين قد ارتأوا في العقوبة آراء مختلفة يمكننا أن نرجعها إلى مذاهب أربعة:

(١) فلسفة العقوبة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢.

(١) العقوبة الانتقامية : ويرى دعايتها أن الجاني ينبغي أن ينال جزاء ما اقترفت يده .

(٢) العقوبة الرادعة : وينادى أصحابها بأن الغرض من العقوبة هو كف المجرم عن العود للإجرام .

(٣) العقوبة الواعظة : ويرى أشياعها أن غاية العقوبة وعظ الناس (الذين لم يجرموا بعد) حتى لا يقعوا في الإجرام .

(٤) العقوبة المصلحة : ويرى دعايتها أن العقوبة ليست إلا علاجاً للمجرم نعالجه به ليبرأ من حالة نفسية شاذة هي ما يسمى عادة بالإجرام .

وأحدث ما وصل إليه علم الأخلاق هو الأخذ بذهب الإصلاح في العقوبة - بل بهذا المذهب أخذ بعض المشرعين حديثاً في بعض بلاد أوربا وأمريكا - وإذا كان الغرض من العقوبة هو إصلاح المذنب إصلاحاً نفسياً يعيده إلى المجتمع الذي يعيش فيه عضواً سليماً ، بل ولياً حميماً ، فكل وسيلة شريفة تحقق ذلك الغرض تكون عقوبة أو تحل محل العقوبة . والعفو - في بعض الأحوال - يحقق هذا الغرض ؛ لذلك كان العفو صورة من صور العقوبة .

غير أنه لا يعزب عن بالنا أن العفو علاج غير مأمون إلا في اليد الحازمة فله نفوس خاصة ، وذنوب خاصة ، وظروف خاصة ؛ وإذا أسئ استخداماً أو أسرف فيه كان جناية محققة . لهذا جاء الإسلام بالعقوبة والعفو جميعاً ، ولكنه لم يأمر بالعفو أمراً ، وإنما ندب إليه ندباً . مكن المعتدى عليه من الدفاع عن حقه ، ولكنه أوصاه بالسماحة والعفو بديلاً .

وقبل أن أدلى بما استنبطته في هذه النظرية أسوق الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العفو في القرآن ، فهي مادتي في الاستنتاج وعمادتي في البحث . (١)

(١) ولقد اقتصرنا هنا على الآيات النص في موضوعنا ، تاركاً عشرات من الآيات التي ذكر فيها العفو ذكراً عرضياً ؛ ولكن ما تركت لا يختلف في لفظه أو معناه عما أقتبست . وقد حرصت على أن أقتبس ثلاث الآيات التي يبدو للنظر الأولى أنها لا تسائر إحدى نواحي النظرية . ثم حاولت الملامة بينها وبين سائر الآيات ، (راجع الفقرة السادسة من النظرية) .

نص الآيات الكريمة

(١) « ثُمَّ عَفَرْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . » البقرة: ٥٢

(٢) « فَاعْبُدُوا ، وَاصْطَبِحُوا ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ . » البقرة: ١٠٩

(٣) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ : الْحَرْ

بِالْحَرْ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ؛ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ

شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاةً إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ . ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ

رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ؛ فَمَنْ اعْتَدَى بِكُمْ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ

فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . »

البقرة: ١٧٨ - ١٧٩

(٤) « ... عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

وَعَفَا عَنْكُمْ . » البقرة: ١٨٧

(٥) « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ، وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ

أَخْرَجُوكُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ؛ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ؛ كَذَلِكَ جَزَاءُ

الْكَافِرِينَ . فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لَا تَكُونُوا فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا

عَلَى الظَّالِمِينَ . الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَالْحُرُمَاتُ

قِصَاصٌ ؛ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى

عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ . « البقرة : ١٩٠ - ١٩٤

(٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ . « البقرة : ٢٣٥

(٧) وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّوْحَى ، وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . « البقرة : ٢٣٧

(٨) « اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ؛
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . « البقرة : ٢٨٤

(٩) « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .
آل عمران : ٨٩

(١٠) « إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ ، وَإِنْ تَصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَبْزَحُوا بِهَا ،
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ . « آل عمران : ١٢٠

(١١) « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ ؛ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . « آل عمران : ١٢٩

(١٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ : الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ
الغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ - وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ -
وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ؟ - وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ؛ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . « آل عمران :

١٣٣ - ١٣٦

(١٣) « وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ؛ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . « آل عمران : ١٥٢

(١٤) « وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . « آل عمران : ١٥٥

(١٥) « فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . «

آل عمران : ١٥٩

(١٦) « لَتَبْلُغُوا فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ، وَإِنْ

تَصْبِرُوا ، وَتَتَّقُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . « آل عمران : ١٨٦

(١٧) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وَصَابِرُوا ، وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . « آل عمران : ٢٠٠

(١٨) « إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا . « النساء : ٤٣

(١٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَعِظْهُمْ ، وَقُلْ

لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ

بِإِذْنِ اللَّهِ ؛ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ

لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا . « النساء : ٦٣ - ٦٤

(٢٠) « دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . « النساء : ٩٦

(٢١) « فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا . « النساء : ٩٩

(٢٢) « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ، أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

رَحِيمًا . » النساء : ١١٠

(٢٣) « إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا ، أَوْ تُخْشَوْهُ ، أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفُوًّا قَدِيرًا . » النساء : ١٤٩

(٢٤) « وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ - إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ - فَاعْفُ

عَنْهُمْ ، وَاصْفَحْ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . » المائدة : ١٣

(٢٥) « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ

تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَعْقُو عَنْ كَثِيرٍ . » المائدة : ١٥

(٢٦) « وَآتَى عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ : إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ

أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ

مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَكِنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ

إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ؛ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ

بِإِيمِي وَإِيمِكَ ، فَتَكُونَا مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ؛ وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالِمِينَ . » المائدة : ٢٧ - ٢٩

(٢٧) « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ . » المائدة : ٣٤

(٢٨) « فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يُعَذِّبُ

مَنْ يَشَاءُ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ؟ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . » المائدة : ٣٩ - ٤٠

(٢٩) « عَمَّا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ؛ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

ذُو انْتِقَامٍ . » المائدة : ٩٥

(٣٠) « اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » المائدة : ٩٨

(٣١) « وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ

رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ : أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابَ

مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَصْلَحَ ، فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » الأنعام : ٥٤

(٣٢) « فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ

الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . » الأنعام : ١٤٧

(٣٣) « إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . » الأنعام : ١٦٥

(٣٤) « أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلَا تُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ بِمَدِّ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا : إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ . » الأعراف : ٥٥ - ٦٥

(٣٥) « قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ،

فَسَأُكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا

يُؤْمِنُونَ . » الأعراف : ١٥٦

(٣٦) « إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . » الأعراف : ١٦٧

(٣٧) « خُذِ الْعَقْوُ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . » الأعراف : ١٩٩

(٣٨) « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؛

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . » الأنفال : ٢٥ - ٢٩

(٣٩) « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ . » الأنفال : ٣٣

- (٤٠) « وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . » الأنفال : ٤٨
- (٤١) « إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . » الأنفال : ٥٢
- (٤٢) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . » التوبة : ١٢٨
- (٤٣) « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ؛ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا أَنْ يُضَاعِفُوا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . وَإِنْ يَصْحَبُ الْمُؤْمِنُ نَفْسًا مُطْمَئِنِّينَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَاعِفُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . » هود : ١١٤ - ١١٥
- (٤٤) « وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ . » الرعد : ٦
- (٤٥) « وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ : جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ؛ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ . » الرعد : ٢٢ - ٢٤
- (٤٦) نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ . » الحجر : ٤٩ - ٥٠
- (٤٧) « فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ . » الحجر : ٨٥
- (٤٨) « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ . » الحجر : ٨٨
- (٤٩) « إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ؛ وَيَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ ، وَالْأُنْكَرِ ، وَالْبَغْيِ ؛ يَمْطُكُمُ لَعْنُكُمْ تَذَكَّرُونَ . »

النحل : ٩٠

(٥٠) « أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ ؛ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُتَّبِدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ ، وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . » النحل : ١٢٥ - ١٢٨

(٥١) « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا ، فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . »

الأنعام : ٣٣

(٥٢) « وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ؛

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا . » الإسراء : ٥٣

(٥٣) « وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ : الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَالصَّابِرِينَ

عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ، وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . »

الحج : ٣٤ - ٣٥

(٥٤) « ذَلِكَ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ، لَيَنْصُرْنَاهُ

اللَّهُ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ . » الحج : ٦٠

(٥٥) « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ . »

المؤمنون : ٩٦

(٥٦) « وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . » المؤمنون : ١١٨

(٥٧) « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . »

النور : ٥

(٥٨) « وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى

وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيَعْفُوا ، وَلْيَصْفَحُوا ؛

أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » النور : ٢٢

(٥٩) « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . » الفرقان : ٦٣

(٦٠) « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

حَسَنَاتٍ ؛ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . » الفرقان : ٧٠

(٦١) « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ

إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . » الشعراء :

٢١٥ - ٢١٧

(٦٢) « أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ، وَيُدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ

السَّيِّئَةِ ، وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ،

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ؛ لَا نَبْتَغِي

الْجَاهِلِينَ . » القصص : ٥٤ - ٥٥

(٦٣) « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَجْؤَنَّهِنَّ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ

صَبَرُوا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . » العنكبوت : ٥٨ - ٥٩

(٦٤) « فَاصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ؛ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ . »

الروم : ٦٠

(٦٥) « يَا بَنِي آدَمُ الصَّلَاةَ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ؛ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . » لقمان ١٧

(٦٦) « لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . » الأحزاب : ٢٤

(٦٧) « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا . وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَدَعِ أَزْوَاجَهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ؛ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . » الأحزاب : ٤٥ - ٤٨

(٦٨) « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ . » سبأ : ٤ - ٥

(٦٩) « وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ . اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . » ص : ١٦ - ١٧

(٧٠) « قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ؛ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . » الزمر : ١٠

(٧١) « قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . » الزمر : ٥٣ - ٥٤

(٧٢) « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ

التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطَّوْلِ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُهُ .

المصير . » غافر : ٢ - ٣

(٧٣) « فَأَصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ . » غافر : ٥٥

(٧٤) « نَزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ،

وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ

وَلَا السَّيِّئَةُ ؛ إِذْ قَعَّ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا

إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . » فصلت : ٣٢ - ٣٥

(٧٥) « إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ، وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ . » فصلت : ٤٣

(٧٦) « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ

مَا تَفْعَلُونَ . » الشورى : ٢٥

(٧٧) « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ

كَثِيرٍ . » الشورى : ٣٠

(٧٨) « أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا ، وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ . » الشورى : ٣٤

(٧٩) « فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

وَأَبْقَى : لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

كِبَارِئِرَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ، وَالَّذِينَ

اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ . وَجَزَاءُ

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؛ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ . وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ .

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ ، وَغَفَرَ ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . « الشورى : ٣٦ - ٤٣ »

(٨٠) « فَاصْبِرْ لَهُمْ ، وَقُلْ سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . » الزخرف : ٨٩

(٨١) « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ . » الأحقاف : ٣٥

(٨٢) « فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُواهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ؛ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ ، وَإِذَا فِدَاءٌ ، حَتَّى تَصْعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . » محمد : ٤

(٨٣) « وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ؛ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . » الفتح : ١٤

(٨٤) « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ، وَأَقْسِطُوا ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . » الحجرات : ٩ - ١٠

(٨٥) « فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ . » ق : ٣٩

(٨٦) « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا . » الطور : ٤٨

(٨٧) « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّامَةَ ؛ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَةِ . » النجم : ٣١ - ٣٢

(٨٨) «... وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَرِضْوَانٌ ...»

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؛ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . « الحديد : ٢٠ - ٢١

(٨٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ
مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؛ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ . « الحديد : ٢٨

(٩٠) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ،
وَاتَّقُوا اللَّهَ ؛ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْجَلُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ؛ وَمَنْ يوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ
جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ . « الحشر : ٤ - ١٠

(٩١) « عسى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ؛
وَاللَّهُ قَدِيرٌ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ : أَنْ تَبَرُّوهُمْ ، وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَى

إِخْرَاجِكُمْ : أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ . « المتحنة : ١ - ٩ »

(٩٢) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

فَاخْذَرُوهُمْ ؛ وَإِنْ تَعَفَّوْا ، وَتَصَدَّقُوا ، وَتَعَفَّرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ . « التباين : ١٥ »

(٩٣) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ، إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُذِّبْتُمْ

تَعْمَلُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، عَسَى

رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ،

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا ،

وَاعْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . « التحريم : ٧ - ٨ »

(٩٤) « فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى

وَهُوَ مَكْظُومٌ . « القلم : ٤٨ »

(٩٥) « فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . « المارج : ٥ »

(٩٦) « وَقَالَ نُوحٌ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا .

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا .

رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَلِوَالِدَيَّ ، وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ ،

وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا . « نوح : ٢٦ - ٢٨ »

(٩٧) « وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا . « المزمل : ١٠ »

(٩٨) « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ، وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ،

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ . ١٠٠

المدثر: ١ - ٧

(٩٩) «... هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ .» المدثر: ٥٦

(١٠٠) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا .

الإنسان: ٢٤

(١٠١) «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ

الودود: «البروج ١٢ - ١٤

(١٠٢) «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ

- فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ - يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ،

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، وَتَوَاصَوْا

بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .» البلد: ١١ - ١٨

(١٠٣) «وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنِفٍ خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .» العصر: ١ - ٣

(١٠٤) «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .»

النصر: ١ - ٣

تلك هي آيات العفو في الكتاب الكريم . وقد هداانا بحسبها إلى النقط

الآتية:

١ - أن العفو ليس أصلاً في المعاملة بين الناس ، لأنه قدر زائد على العدالة ،

بل هو ظلم بالفعل : ظلم المرء لنفسه بالتجاوز عن حقه ؛ وإنما نسمى هذا الظلم

(هـ صحيفة دار العلوم)

« عفواً ، لأنه اسم جميل ، لهذا الظلم النبيل . من أجل ذلك لم يفرضه الله تعالى ، بل رغب فيه ، وندب إليه بوسائل شتى . وآية ذلك أنه — عز شأنه — شرع العقوبة حتى يشعر المرء بأن حقوقه مصونة ، وفضلاً عن المواضع الخاصة بذكر العقوبة ، قد كرر القرآن مشروعيتهما مع كثير من آيات العفو ليلقى الطمانينة في قلوب العباد على أن مصالحهم مرعية ، وليكون عفوهم إذ ذاك سماحة خالصة ، لا طاعة مزيفة . وحسبنا أن نذكر هنا بعض الآيات التي ورد فيها ذكر العقوبة مع العفو ، تارة قبله وتارة بعده . وتارة قبله وبعده جميعاً : « كتب عليكم القصاص في القتلى ... فمن عفى له من أخيه شيء ... » البقرة : ١٨٧ ؛ « عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ؛ والله عزيز ذو انتقام . » المائدة : ٩٥ ؛ « اعلوا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم . » المائدة : ٩٨ ؛ « فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين . » الأنعام : ١٤٧ ؛ « إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم . » الأنعام : ١٦٥ ؛ « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب . » الرعد : ٦ ؛ « نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم . » الحجر : ٤٩ — ٥٠ ؛ « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » النحل : ١٢٦ ؛ « غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول . » غافر : ٣ ؛ « ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، ... » والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ؛ إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ... ولمن صبر ، وغفر ، إن ذلك لمن عزم الأمور . » الشورى : ٣٧ — ٤٣ .

(وانظر كذلك - البقرة : ٢٨٤ ، آل عمران : ١٢٩ ، المائدة : ٣٩ - ٤٠ ، الأعراف : ١٥٦ ، الأنفال : ٢٥ - ٢٩ ، الحج : ٦٠ ، الأحزاب : ٢٤ ، سبا : ٤ - ٥ ، محمد : ٤ ، الفتح : ١٤ ، الحديد : ٢٠ - ٢١ ، الحشر : ٤ - ١٠ ، التحريم : ٧ - ٨ ، البروج : ١٢ - ١٤)

وبعد فمذه آيات صريحة في أن للعقوبة موضعها ، وللعفو موضعه ؛ وهي كذلك صريحة في أن كفة العفو أرجح . ولا شك أن هذا الطريق الوسط بين العقوبة والعفو أشكل بالحزم ، وأدعى إلى السلم والأمان ؛ فلو شرعت العقوبة

وحدها ملأت الإحسان القلوب، وتمكنت الحفاظ من الصدور؛ ولو شرع العفو وحده لسادت الفوضى، واستشرى المجرمون. بل لو شرع العفو وحده لكانت النفس أميل إلى الزهد فيه، والتبرم به؛ فليس في طبيعة الإنسان أن يتخلى عن جميع حقوقه، في جميع الأحوال.

٢ - ولتنظر مرة أخرى في تلك الآيات، فسرى أن العبارات التي استخدمها القرآن الكريم في العفو مغرية به، حريصة على تقريبه إلى القلوب، بما يؤيد ماقلناه: من أن الشارع الحكيم يرغب فيه، أولاً؛ وثانياً، أنه يشعر بأنه ليس اتجاه طبعياً من المظلوم نحو ظالمه. فقد وصف الله تعالى نفسه بالعفو، ووصف به رسوله الكريم وطالبه به، ووصف به كذلك المقربين من عباده. فوضع بذلك مُثَلاً علياً أمام عباده يهتدون بها من غير إلزام:

(١) فمن الآيات التي وصف بها الله تعالى نفسه بالعفو قوله جل وعلا:

«ثم عفونا عنكم من بعد ذلك، لعلكم تشكرون». البقرة: ٥٢؛ «ومن يغفر الذنوب إلا الله؟»، آل عمران: ١٣٥؛ «ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين»، آل عمران: ١٥٢؛ «ولقد عفا الله عنهم، إن الله غفور حلیم»، آل عمران: ١٥٥؛ «درجات منه ومغفرة ورحمة»، وكان الله غفوراً رحيمًا، النساء: ٩٦؛ «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا»، النساء: ١١٠؛ «كتب ربكم على نفسه الرحمة: أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده، وأصلح، فأنه غفور رحيم»، الأنعام: ٥٤؛ «ورحمتي وسعت كل شيء»، الأعراف: ١٥٦؛ «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات»، الشورى: ٢٥.

(وانظر كذلك - البقرة: ١٩٢، ٢٣٥؛ آل عمران: ٨٩، النساء: ٤٣، ٦٤، ٩٩، ١٤٩؛ المائدة: ٣٤، ٣٩؛ الأنفال: ٢٩، ٣٣؛ المؤمنون: ١١٨؛ النور: ٥؛ الزمر: ٥٣؛ الحديد: ٢٨؛ وانظر «بسم الله الرحمن الرحيم» في بدء كل سورة عدا سورة التوبة.)

(ب) وبما وصف به رسوله - عليه الصلاة والسلام - أو أمره به، قوله عز شأنه: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً، غليظ القلب، لانفضوا من حولك؛ فاعف عنهم، واستغفر لهم»، آل عمران: ١٥٩؛ «ولا تزال

تطلع على خاتمة منهم - إلا قليلا منهم - فاعف عنهم ، واصفح ، المائدة : ١٣ ؛
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ،
ويعفو عن كثير . المائدة : ١٥ ؛ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه
ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم . » التوبة : ١٢٨ ؛ « واخفض
جناحك للمؤمنين . » الحجر : ٨٨ ؛ « ادفع بالتي هي أحسن السيئة . » المؤمنون :
٩٦ ؛ « فاصبر صبراً جميلاً . » المعارج : ٥

(وانظر كذلك - الأعراف : ١٩٩ ؛ هود : ١١٤ - ١١٥ ؛ الحجر : ٨٥ ؛ الشعراء : ٢١٥ - ٢١٧ ؛
الروم : ٦٠ ؛ الأحزاب : ٤٥ - ٤٨ ؛ ص : ١٧ ؛ غافر : ٥٥ ؛ الزخرف : ٨٩ ؛ الأحقاف : ٣٥ ؛
ق : ٣٩ ؛ الطور : ٤٨ ؛ القلم : ٤٨ ؛ الزمل : ١٠ ؛ المدثر : ٧ ، ٥ ؛ الإنسان : ٢٤ ؛
النصر : ١ - ٣)

(ح) وما وصف به الله تعالى المقربين من عباده ، مقيماً منهم مثلاً أعلى في
العفو والتسامح ، قوله تبارك وتعالى :

« والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ويدرمون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم
عقبى الدار : جنات عدن يدخلونها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب :
سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . » الرعد : ٢٢ - ٢٤ ؛
« وبشر المحبتين : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على
ما أصابهم . » الحج : ٣٤ - ٣٥ ؛ « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . » الفرقان : ٦٣ ؛ « ولا تستوى
الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم . وما يلقاها^(١) إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . »
فصلت : ٣٣ - ٣٥

(وانظر كذلك - آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٨٦ ؛ القصص : ٥٤ - ٥٥ ؛ العنكبوت :
٥٨ - ٥٩ ؛ الشورى : ٣٦ - ٣٧ ، ٤٣ ؛ البقرة : ١ - ٣)

هذه مُثُلٌ علياً ثلاثة تنير السبيل لمن شاء أن يتشبه بأخلاق الله ، فإن أعجزه
ذلك ، تمثل بأخلاق الرسول ، فإن عز عليه هذا جاهد أن يكون مع طبقة من

(١) الضمير فى « يلقاها » عائد على تلك السجية المفهومة من سياق الآية ، وهى
مقابلة الإساءة بالإحسان ؛ وهى منزلة الخاصة من المؤمنين .

الناس ، إن كانت خاصة فإنها على ذلك بشر مثلنا ، لا نشعر بيننا وبينهم بتلك الفوارق التي نشعر بها بيننا وبين الذات العلية ، أو بيننا وبين مقام الرسول الكريم . فلحكمة بليغة وضعت أمامنا هذه المثل العليا ، ولحكمة بليغة كانت على هذا التدرج .

٣ — ولو علم الله أن النفس البشرية تميل بطبيعتها إلى العفو لآمر به أمراً ؛ ولكنه — جل ثناؤه — يعلم أن في الطبيعة البشرية ألا تآتمر أولاً ، وألا تآتمر بما تشعر بأن فيه تجاوزاً عن حقها ثانياً . لذلك لم يأت العفو بصيغة الأمر إلا قليلاً ، تحاشياً لإثارة روح العناد الخبيثة في نفوس البشر ؛ وإنما جاء في أروع ما تنطق به الأساليب المرغبة النادرة :

« وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم . » البقرة : ٢٣٧ ؛
« إن تمسكم حسنة تسوؤم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا ، وتتقوا ، لا يضركم كيدهم شيئاً . » آل عمران : ١٢٠ ؛ « سارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين : الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ؛ والله يحب المحسنين . »
آل عمران : ١٣٣ — ١٣٤ ؛ « وإن تصبروا ، وتتقوا ، فإن ذلك من عزم الأمور . » آل عمران : ١٨٦ ؛ « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار : جنات عدن يدخلونها سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . » الرعد : ٢٢ — ٢٤ ؛ « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » النحل : ١٢٦ ؛ « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرون بالحسنة السيئة ، ... وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » القصص : ٥٤ — ٥٥ ؛ « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . » الزمر : ١٠ ؛ « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون . » الشورى : ٣٦ — ٣٧ ؛
« والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . » الحشر : ١٠ .

(وانظر كذلك - الحج : ٣٤ - ٣٥ ؛ الفرقان : ٦٣ ؛ النكبات : ٥٨ - ٥٩ ؛ الثوري : ٤٠ ،
٤٣ ؛ المتجة : ٧ ؛ التغابن : ١٤ ؛ البلد : ١٧ - ١٨ .)

٤ - وإذا درسنا الآيات التي جاء فيها العفو بصيغة الأمر ألفيناها جميعها
- إلا ثلاث آيات (البقرة : ١٠٩ ؛ وآل عمران : ٢٠٠ ؛ والنحل : ٩٠) -
مشاركة في هذه الصفة : وهي أنها ليست خطاباً مباشراً لدهماء الناس الذين
يغلب أن يثور في نفوسهم روح المعارضة والعناد ، إذا أمروا بالتجاوز عن حقهم
في القصاص ، فيعميهم ذلك عن إدراك حكمة العفو البالغة ، بل كان الأمر فيها
موجها لمن طهرت نفوسهم من خبث التعصب للنفس والعناد . أعني للرسول
الكريم ، أو لصديقه الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، أو لفئة - غير معينة -
من المقربين من عباد الله تعالى .

ولا بد أن نشير إلى أن هذه الطائفة تركت غير معينة إطلاعا لكل امرئ أن
يكون من بينها .

(١) فمن الآيات التي ورد فيها الأمر بالعفو موجه للرسول الكريم
قوله تعالى :

« فاعف عنهم ، واستغفر لهم . » آل عمران : ١٥٩ ؛ « فاعف عنهم ،
واصفح . » المائدة : ١٣ ؛ « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين . »
الأعراف : ١٩٩ ؛ « فاصفح الصفح الجميل . » الحجر : ٨٥ ؛ « واخفض جناحك
للمؤمنين . » الحجر : ٨٨ ؛ « ادفع بالتي هي أحسن السيئة . » المؤمنون : ٩٦ ؛
« فاصفح عنهم وقل سلام . » الزخرف : ٨٩ ؛ « فاصبر كما صبر أولو العزم من
الرسل . » الأحقاف : ٣٥ ؛ « فاصبر صبراً جميلاً . » المعارج : ٥ ؛ « واصبر على
ما يقولون ، واحجرهم حجراً جميلاً . » المزمل : ١٠ .

(وانظر كذلك - النساء : ٦٣ ؛ هود : ١١٤ - ١١٥ ؛ النحل : ١٢٧ ؛ الشعراء : ٢١٥ - ٢١٧ ؛
الروم : ٦٠ ؛ الأحزاب : ٤٥ - ٤٨ ؛ ص : ١٧ ؛ غافر : ٥٥ ؛ ق : ٣٩ ؛ القلم : ٤٨ ؛ المدثر :
١ - ٧ ؛ الإنسان : ٢٤ ؛ النصر : ١ - ٣)

(ب) وهذه آية أبي بكر تحمل في سياقها وعلاقتها دليل ما استنبطنا ، من أن
الأمر بالعفو جاء إلى النفوس الكريمة التي لا ترفض طاعته ؛ فقد كان لأبي بكر

قريب فقير يسمى مسطح بن أثاثه يجري عليه أبو بكر رزقا، ولما ذاع حديث الإفك عن عائشة أم المؤمنين بكت أبي بكر، كان مسطح ممن خاضوا فيه، قال أبو بكر ألا ينفق على مسطح بعد ذلك، فنزل قوله تعالى: «ولا يأنل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولى القربى، والمساكين، والمهاجرين في سبيل الله؛ وليعفوا، وليصفحوا. ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم». النور: ٢٢؛ فلما سمع أبو بكر الآية قال: «بلى، والله إنى لأحب أن يغفر الله لي»، فرجع إلى مسطح ما كان يجري عليه (١).

(ح) وهذه آية جاء فيها الأمر بالعفو لخاصة المؤمنين الذين وصفهم الله بأنهم ذوو حظ عظيم: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله، وعمل صالحا، وقال إننى من المسلمين؟ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم». فصلا: ٣٢ - ٣٥.

هـ - ولنرجع مرة أخرى إلى هذه الآيات التي ورد فيها العفو بصيغة الأمر، فسنجد أن صيغ الأمر يسبقها أو يلحقها في كثير من الآيات عبارات ملطفة للأمر، مخففة من وقعه على النفس، محرضة على طاعته، معوضة عما يتجاوز عنه العافي من حقه. ومن أهم ما نلاحظه كذلك في هذه الآيات أن هذه العبارات الملطفة المعوضة، التي تصحب الأمر، تتناسب كثرة وقلة مع حال المخاطب قربا من الله تعالى. ففي آية خاصة المؤمنين نجد أوفى قسط تحتمله العبارة من تخفيف وقع الأمر، فقد وضع الله تعالى المخاطبين في أحسن درجة لعملهم الصالح في عدم التسوية بين الحسنة والسيئة، ودفعهم بالتي هي أحسن واستبداهم بالعدو وليا حميا، وتخصيصهم بمرتبة الصابرين، ذوى الحظ العظيم. فإذا بقي بعد هذا من جفوة الأمر بالتخلي عن حق في نظير هذه النعم الجليلة؟ على أن إنعام النظر في معنى هذه الآية لا يجعلها، في الحقيقة، أمرا بالعفو في جميع الأحوال

(١) تفصيل حديث الإفك في كتب الأحاديث وفي كل تفسير مطول عند شرح هذه الآية.

فآية صريحة في أن يدفع المرء السيئة بالتى هي أحسن . والذى هو أحسن - في حالة من الحالات - ربما لا يكون هو الأحسن في حالة أخرى . ولقد يكون دفع الشر أحسن بالعفو مرة ، وبالعقوبة أخرى .^(١)

وفي آية أبى بكر نجد قدراً أقل من هذا لتلطيف الأمر على نفس لا شك أنها أقرب إلى قبوله ، ففي الآية عبارتان ملطفتان : « لا تحبون أن يغفر الله لكم » والله غفور رحيم .

أما الرسول ، ونفسه أطهر النفوس البشرية وأبرؤها من العناد ، فالأمر بالعفو إذ يوجه إليه لا يشتمل إلا على حد أدنى من عبارات التلطيف . فقد أمر بالعفو في أربع وعشرين آية ، صحب الأمر في ثلاث عشرة منها تلطيف ، وجاء الباقي مجرداً . فمن القسم الأول : « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك ، فاعف عنهم » ، آل عمران : ١٥٩ ؛ « واصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، هود : ١٠٥ ؛ « واصبر ، وما صبرك إلا بالله ، النحل : ١٢٧ ؛ « اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب » ، ص : ١٧ ؛ « واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا ، الطور : ٤٨

(وانظر كذلك المائدة : ١٣ ؛ الشعراء : ٢١٥ - ٢١٧ ؛ الروم : ٦٠ ؛ الأحزاب : ٤٨ ؛ غافر :

٥٥ ؛ الأحقاف : ٣٥ ؛ القلم : ٤٨ ؛ النصر : ١ - ٣ .)

ومن القسم الثانى : « خذ العفو ، وأمر بالمعروف ، وأعرض عن الجاهلين » ، الأعراف : ١٩٩ ؛ « واخفض جناحك للمؤمنين » ، الحجر : ٨٨ ؛ « ادفع بالتى هي أحسن » ، المؤمنون : ٩٦ ؛ « فاصفح عنهم ، وقل سلام » ، الزخرف : ٨٩ ؛ « والرجز فاهجر ... ولربك فاصبر » ، المدثر : ٥ - ٧

(وانظر كذلك - النساء : ٦٣ ؛ الحجر : ٨٥ ؛ ق : ٣٩ ؛ المارج : ٥ ؛ المزمل : ١٠ ؛

الانسان : ٢٤)

وبعد ، أفليس في وفرة هذا العدد في أمر الرسول وقلته بل ندرته في أمر

(١) وما قلناه هنا ينطبق كذلك على دفع السيئة بالحسنة أو بالتى هي أحسن في :

الرعد : ٢٢ - ٢٤ ؛ والإسراء : ٥٣ ؛ والمؤمنون : ٩٦

غيره ما يؤيد ما قلناه تأييداً جديداً ، من أن الله لم يشأ أن يجعل الأصل في الأخذ بأسباب العفو أمراً مفروضاً ؟

٦ - بقي أن ننظر في الآيات الثلاث التي أشرنا إلى استثنائها في النقطة الرابعة ، أعني تلك الآيات التي ورد فيها الصفع بصيغة الأمر في خطاب الأمة وهي قوله تعالى : « فاعفوا ، واصفحوا ، حتى يأتي الله بأمره » ، البقرة : ١٠٩ ؛ « يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله ، لعلكم تفلحون » ، آل عمران : ٢٠٠ ؛ « إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ؛ وينهى عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى ؛ يعظكم لعلكم تذكرون » ، النحل : ٩٠ . ونريد أن نقرر هنا أولاً أن آية واحدة منها (آية البقرة) هي التي ذكر فيها العفو بلفظه الصريح ، بل بمرادفه الفصيح . أما الآيتان الأخريان ، ففي إحداهما أمر بالصبر بصفة عامة ، مما يشمل العفو وغيره ، فقد يكون الصبر على مكاره لا مجال للعفو فيها ^(١) . وفي الأخرى أمر عام كذلك بالإحسان إلى جانب الأمر بالعدل . ونحن نرى أن ورود الأمر في هذه الصورة العامة - لا في صورة خاصة بالأمر بالعفو عن مسمى ، كما ورد ذكر العفو في الآيات الأخرى - أبعد عن إثارة النفس للعناد ومقاومة الأمر . لأن النفس لا تذكر إذ ذاك إساءة وقعت عليها تشعر بشهوة الانتقام لها ، كما كان يحدث مثلاً لو جاءت آية النحل : ١٢٦ على الصورة الآتية : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ، لكن اصبروا فهو خير للصابرين !

ولقد تغرينا وجاهة هذا التعليل بحمل آية « البقرة » عليه . ولكن صراحة ألفاظها - على الرغم من غياب ذكر الإساءة أو العقوبة فيها - تدعونا إلى تلمس تعليل آخر . ويخيل إلى أنه قصد بهذه الآية أن ترد هكذا فريضة ، لتنبيه الناس إلى

(١) يلاحظ أن استعمال « الصبر » في هذه الآية ليس صريحاً في معنى « العفو » ، صراحة استعماله في عشرات الآيات الأخرى التي يذكر فيها الصبر بمناسبة العقوبة ، واحتمال أذى المعتدين الخ .

شدة العناية بالعفو والاعذار به ، حتى لا تكون جميع آيات القرآن خالية من صيغة الأمر ، موجهة إلى جمهور الأمة . فإذا قرنت هذه الآية بغيرها من آيات العفو ، استخرج الناس من المجموع المرمى السامى الذى رعى إليه الشارع : من أن العفو مرغوب فيه ، وإن لم يكن مأموراً به .

على أن لنا في هذه الآيات الثلاث تأويلاً آخر قدسسه في التعبير البلاغى ، لا في التعليل الفلسفى . فالأمر كثيراً ما يأتى لغير الإلزام ، فى القرآن وغير القرآن من كلام العرب . فلا مانع من أن تكون قد وردت للنصح والإرشاد ، أو للندب ، أو للإباحة ، أو للتخيير ؛ على مثال الأمر فى قوله تعالى : « فكاذبوهم إن علمتم فيهم خيراً . » وقوله : « فإذا حللتم فاصطادوا . » وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله . » وقوله : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . »

٧ - وهذه ظاهرة أخرى تمتاز بها آيات العفو امتيازاً يزيد نظريتنا تأييداً ، من أن الشارع الحكيم كان عليماً بأن العفو قدر زائد على العدالة ، أو كما سميناه « ظلم نبيل » ، لا تميل إليه النفس ميلاً طبيعياً . فنحن نرى أن القرآن إذا عرض للعفو ذكره فى عبارات مطبقة مؤكدة : بالترادف ، أو المفعول المطلق ، أو لام التوكيد ، أو النعت ، أو التذييل . ونحو ذلك . وسبيل التأكيد فى الكلام لا تسلك إلا الحكمة بلاغية ، وهى هنا علم المشرع بأن السامع يغلب إلا يلتقى هواه مع موضوع الكلام ، ورغبته - رغبة المشرع - فى زيادة التنبيه على الصفح ، وتحسينه ، والندب إليه ، ليشر ذلك التأكيد فى نفوس الناس الذين قد يسمو على بعضهم ويعز هذا الظلم النبيل .

« قاتب عليكم ، وعفاعتكم . » البقرة : ١٨٧ ؛ « وأن تعفوا أقرب للتقوى . » ولا تنسوا الفضل بينكم . » البقرة : ٢٢٧ ؛ « والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس . » آل عمران : ١٣٤ ؛ « فاعف عنهم ، واصفح . » المائدة : ١٣ ؛ « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين . » الأعراف : ١٩٩ ؛ « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ... ويدرون بالحسنة السيئة ... سلام عليكم بما

صبرتم. الرعد : ٢٢ - ٢٤ ؛ فاصفح الصفح الجميل. الحجر : ٨٥ ؛ وليعفوا ،
وليصفحوا . النور : ٢٢ ؛ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ... فمن عفا ، وأصلح ...
ولمن صبر ، وغفر ... الشورى : ٣٧ - ٤٣ ؛ فاصبر كما صبر أولو العزم .
الأحقاف : ٣٥ ؛ وإن تعفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا ، التغابن : ١٤ ؛ فاصبر
صبراً جميلاً . المعارج : ٥ ؛ واصبر على ما يقولون ، وأجرهم هجراً جميلاً .
المزمل : ١٠

(وانظر كذلك : أربعة وأربعين آية أخرى لا يحتاج البحث عن التوكيد فيها إلى كبير مجهود .) (١)

٨ - ومن الوسائل التي رغب بها القرآن في العفو وزهد في العقوبة ، أنه
كثيراً ما يصحبهما أو أحدهما بتحذير من العدوان والبغى ، وندب إلى الحيطة
والتقية : كأنه ينادى بأن في استيفاء العقوبة عدواناً ، أو إشرافاً على العدوان ؛
ولخير للمرء أن يتجاوز عن بعض حقه ، من أن يعتدى على حق غيره . ألم يشرح
لنا النبي الكريم هذا التحذير في أبلغ ما وصل إليه الإيجاز إذ يقول ، عليه الصلاة
والسلام : « من استقصى في حقه لم يترك للشر مأرباً ، ؟ » (٢) وإلا فبأي تعليل
آخر تدبّر سر هذا التحذير الذي يلاحق ذكر العقوبة والعفو في المواضع الآتية ،
« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا
أن الله مع المتقين . » البقرة : ١٩٤ ؛ « وأن تعفوا أقرب للتقوى » البقرة : ٢٣٧ ؛
« وإن تصبروا ، وتتقوا ، آل عمران : ١٢٠ ؛ « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ... »
إن الله مع الذين اتقوا ، النحل : ١٢٦ - ١٢٨ ؛ « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا

(١) ويخيل إلينا أن الله تعالى قد حرر آيات العفو - معظمها - من صيغة الأمر ،
ثم استبدل بتلك الصيغة المثيرة للنفوس في مثل هذه الحالة ، أسلوباً آخر هو التوكيد
الذي أشرنا إليه ، فكان ما فقدته الآيات - إن كان قد فقدته - من قوة الأمر ، قد
كسبته من قوة التوكيد .

(٢) وكأني بالجاحظ قد ألم بهذا الحديث إذ قال : « ومن رضى ألا يكون بين
حاله وحال الظالم إلا ستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، لم يحزم في تفضيل الحلم ، وفي
الاستيثاق من ترك دواعي الظلم . »

لوليه سلطانا ، فلا يسرف في القتل ، الإسراء : ٣٣ : ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ... والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله ؛ إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ... ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور . الشورى : ٣٧ - ٤٣ .

وتجلى وجهة التحذير في صورة أقوى في آية الحج : ٦٠ إذ يكون المظلوم قد انتصف لنفسه ثم بغى عليه ؛ فهنا لا نراه قد ذكر له حقه في الانتصاف ثانية ذكر أصريحا ، بل نجد على خلاف ذلك أنه موصى توصية قوية بالعفو عن الانتصاف الثاني : ذلك ، ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بغى عليه لينصرته الله ؛ إن الله لعفو غفور . وتبدو لنا الحكمة في ذلك إذا أدركنا أن الانتصاف بعد الاعتداء الثاني يغلب ألا يكون قصاصا عادلا ، كما يمكن أن يكون الانتصاف الأول . فشهوة المظلوم للانتقام في هذه المرة أجنح إلى الثورة ، وأدنى إلى الجرح . ولعله أن يصبح هو معتديا ، فصانه الله تعالى بتوصيته بالعفو ، وتحذيره من القصاص .

(وانظر كذلك البقرة : ١٩٠ آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٠)

٩ - وهذه سبيل أخرى سلكها القرآن في بيان جمال العفو ، وتوجيهه إلى القلوب ، وتيسير احتماله على النفوس . فكثيرا ما يذكر القرآن العفو مصحوبا بصفات أخرى يدعو إليها الدين جميعا ، وفي ذلك تلطيف وتخفيف من شعور المرء بتخليه عن حقه . وأهم ما يبدو لي أن القرآن الكريم قد جمعه والعفو في طائفة : السماحة في التعامل بأوسع معانيها ، فهي بذلك تشمل العفو ؛ فإذا قبلنا السماحة في أصلها ، أو في فرع من فروعها ، كان من المرجح ألا ننكش من قبولها في فرع آخر هو العفو . بهذا وحده أستطيع أن أعلل الجمع بين العفو والتفضل ، وبين العفو والائتفاق في السراء والضراء ، وبين العفو والإحسان ، وبين العفو والائتفاق سرا وعلانية ، وبين العفو والعمل الصالح ، وبين العفو والتشاور في الأمور دون الاستبداد بالرأى الخ في قوله تعالى :

« الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . » آل عمران : ١٣٤ ؛ « الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرمون بالحسنة السيئة . » الرعد : ٢٢ ؛ « إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان . وإيتاء ذى القربى . » النحل : ٩٠ ؛ « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ... ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ... إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . » النحل : ١٢٥ - ١٢٨ ؛ « والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون . » الحج : ٣٥ ؛ « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ؛ وليعفوا ، وليصفحوا . » النور : ٢٢ ؛ « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرمون بالحسنة السيئة ، وما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم ، لا نبغى الجاهلين . » القصص : ٥٤ - ٥٥ ؛ « ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ... ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ... » فصلت : ٣٣ - ٣٤ ؛ « والذين يحتنبون كباثر الالبثم والفواحش ، وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، وما رزقناهم ينفقون ... » الشورى : ٣٦ - ٤٣ ؛ « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ... ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ... ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ... » الحشر : ٤ - ١٠ ؛ « فك رقبة ، أو إطعام - فى يوم ذى مسغبة - يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة . » البلد : ١٣ - ١٧ ؛ « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر . »

على أن بعض الآيات التى صحبت السماحة فيها العفو تستأهل منا كلمة خاصة :
(١) فى آيتى آل عمران : ١٥٩ ؛ والنصر : ١ - ٣ نرى درجة من السماحة

معدومة النظر ، وقد اختص بها الله تعالى رسوله ، حين طالبه بالعفو عن خصومه ، وبالاستغفار وطلب الرحمة من الله لهم : « فاعف عنهم واستغفر لهم » . ولعل التاريخ لا يحوى بين طياته سماحة كتلك التي صفع بها النبي الكريم يوم فتح مكة ، سماحة المنتصر الذي لم يعرف الغل قلبه ، ولم تجد الحفيظة سبيلها إلى صدره ، مطيما فيها أمر ربه : « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا » . (١)

(ب) وجدير بنا أن نلاحظ أن هذه السماحة لا تقتصر على معاملة المسلمين بعضهم مع بعض ، بل تمتد إلى معاملاتهم مع غير المسلمين ، وهي ميزة للإسلام في تعاليمه وفي تاريخه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم : أن تبروهم وتقسطوا إليهم » . الممتحنة : ٨

(ج) غير أن هذه السماحة التي دعينا إليها ونحن نتعامل في حقوقنا ، ونقضي في شئوتنا ، قد استبدل بها أمر آخر هو الإقساط والإنصاف إذا كنا بصدد الفصل بين فريقين لا مصلحة لنا معهما . عندئذ لا يجوز لنا أن نسخر بحقوق غيرنا . ولهذا قرن العدل بالإقساط في آية الصلح بين الطائفتين المقتلتين : « وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا

بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » . الحجرات : ٩ - ١٠ (٢) ؛ على حين قرن العدل بالإحسان في آية النحل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . وقرن التواصي بالحق بالتواصي بالصبر في آية العصر : « إلا الذين آمنوا وعملوا

(١) قارن هذا بما سياتي ذكره في رقم ١١

(٢) اعلم في غنى عن التنبيه على أن هذه الآية قد رسمت منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا خطة عملية لما يسمى اليوم « عصبة الأمم » ، ونظام العقوبات الدولية .

الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر . . (١)
 ١٠ - ومن أروع ما استعمله القرآن للتزهد في العقوبة والترغيب في العفو
 أسلوب المشاكلة . وهو ضرب آخر من التحذير من الأخذ بالعقوبة ،
 والارتياح إلى القصاص . ويان ذلك أن المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره
 لوقوعه في صحته . . (٢) والآخر النفسي الذي تحدثه المشاكلة في نفس السامع هو
 إيقاظها إلى التشاكل والتشابه الذي بين الأمرين اللذين عبر عنهما بلفظ واحد
 - مع أنهما في الحقيقة مختلفان . ليتأثر السامع بذلك التشاكل في اتجاهه
 نحوهما . فمرة يسوى القرآن بين العقوبة والاعتداء بتسميتهما جميعاً عقوبة ،
 مع أن الاعتداء ليس في الحقيقة عقوبة : وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم
 به ، النحل : ١٢٦ ، ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به . . . الحج : ٦٠

(١) وكما جاء القرآن داعياً إلى السباحة والعفو فيما يتعلق بحقوق الشخصي ، نادياً
 إلى الإيصال والإعساق فيما يتصل بحق غيرك ، كذلك جاء الحديث الشريف مسأراً
 لهذه السياسة الحكيمة : وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . . ولولا أننا
 قصرنا نظريتنا على العفو الإسلامي كما عبر عنه القرآن ، لسقنا عشرات الأحاديث ،
 وحسبنا هنا أن نذكر في تأييد ناحية السباحة والعفو قوله عليه الصلاة والسلام : ألا
 أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى . قال : من أكل وحده ، ومنع رفقده ، وضرب عبده ؛
 ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من لا يقبل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً ؛ ألا
 أخبركم بشر من ذلكم ؟ من يبغض الناس ويبغضونه . . وقوله : أرحم من في الأرض
 يرحمك من في السماء . . وقوله : من شدد شدد عليه . . بل نرى ذلك في أصرح العبارات
 فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 الإيمان فقال : الصبر والسباحة . . وأن نذكر في تأييد ناحية الإيصال
 والإعساق قوله عليه الصلاة والسلام : زين الله السماء بثلاث : بالشمس ، والقمر ،
 والكواكب ؛ وزين الله الأرض بثلاث : العلماء ، والمطر ، وسنطان عادل . . وقوله
 عن ابن سعيد الخدري : أحب البلاد إلى الله تعالى ، وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة
 إمام عادل . . وقوله ، عن ابن عباس : والذي نفسي بيده إن الأمام العادل ليرفع
 له في كل يوم مثل عمل رعيته

(٢) انظر شروح التلخيص الجزء الرابع ص ٣٠٩ - ٣١٥ مطبعة السعادة سنة ١٣٤٣ .

— وأخرى يسوى بينهما بتسميتهما جميعاً عدواناً أو إساءة ، مع أن العقوبة ليست في الحقيقة عدواناً ولا إساءة : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدى عليكم » البقرة : ١٩٤ ؛ « وجزاء سيئة سيئة مثلها » الشورى : ٤٠

وتارة يحيد عن استعمال اللفظين الخاصين بالذنب والعقوبة ليمنحهما جميعاً اسماً واحداً عاماً : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً

فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً ، فلا يسرف في القتل » الإسرء : ٣٣ ، وبما يمكن

إلحاقه بالمشاكل هنا ذلك السمو في الإيحاء بقسمة الجاني والمجنى عليه أخوين :

« فمن عَفِيَ له من أخيه شيء ، وأشهد أن ليس بعد هذا إيحاء بالموادة تحل

حل العداوة ، والصفاء يقوم مقام الجفاء .

١١ — بقي علينا أن ننظر في ثلاث آيات ذكر فيها العفو محكياً على لسان

شخصيات سابقة للقرآن . ولقد سيقّت هذه الآيات مساق العبرة والوعظ ،

ولكنها — على ذلك — تلقى شعاعاً من الضياء على الفرق بين فكرة العفو في الإسلام

وفكرة العفو قبل الإسلام . ففي وصية لقمان لابنه يأمره بالعفو على خلاف

سياسة القرآن العامة في عدم الأمر بالعفو :

« يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ،

إن ذلك من عزم الأمور » لقمان : ١٧ ؛ على أن الآية — فيما عدا هذا — تحمل

شبهاً كبيراً بآيات العفو الإسلامي : ففيها العفو مقرون بتعاليم أخرى ، وهي

مذيلة بجزاء العفو وأنه من عزم الأمور .

أما الآيتان الأخريان فهما اللتان تعنياننا هنا عناية خاصة ؛ ففيهما ظاهرة

لا وجود لها في آيات العفو الإسلامي : فآية المائدة : ٢٧ - ٢٩ المحكية على لسان

قاييل وهابيل ، لا تصحب العفو فيها تلك السماحة الإسلامية التي لا تجعل العفو

صورة من صور التعالي والكبرياء ، بل وسيلة من وسائل الإبقاء على الود

وابتغاء الأولياء : « وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق : إذ قربا قربانا فتقبل من

أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لاقتلك قال إنما يتقبل الله من المتقين

لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسـط يدى إليك لاقتلك ؛ إنى أخاف الله

رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتكون من أصحاب النار ؛ وذلك جزاء الظالمين . ، فاتين هذا الإدراك الأولى للعفو من الإدراك الإسلامي الكامل الشامل الذي نجده مثلاً في قوله تعالى : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ؛ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور . » ، وفي قوله : « وقل لمبادئ يقولوا التي هي أحسن ؛ إن الشيطان ينزغ بينهم [أي حينما يناههم عذاب الكفار] إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبيناً . » ، ألا إن مرمى العفو الإسلامي هو أن تدفع بالتي هي أحسن السيئة ، « فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . » - هو أن تَبَرَّ وَتُقْسِطَ لا إلى المسلمين فحسب ، بل إلى غير المسلمين كذلك ، « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة . »

وآية نوح : ٢٦ - ٢٨ تقف بالعفو دون مرتبة العفو الإسلامي كما أمر به الله تعالى خاتم النبيين ، وصاحب أسمى ديانة أرسلت للعالمين : « وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ؛ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً . رب اغفر لي ، ولوالدي ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تباراً . » هذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام يمثل مرحلة من مراحل إدراك العفو ، كما تمثل ديانته مرحلة من مراحل تطور الديانات ؛ ولكل مرحلة من هذه المراحل عصر وقرن من الناس أرسلت إليهم لتلائمهم .^(١) ثم أرسل الله تعالى خاتمة تعاليمه باسمي ما يصل إليه التسامح على لسان صفيه الكريم ، سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم - إلا قليلاً منهم - فاعف عنهم واصفح ؛

(١) من المسلم به أن الله تعالى أرسل تعاليمه إلى البشر على السنة أنبيائه المكرمين ، وأمر كلامهم بما يلائم عصره وبيئته وما وصلت إليه البشرية في كل عصر من النمو الفكري والأخلاق بما يجعل دعوتها إلى الدين الجديد في حدود ما تستطيع إدراكه . فمن ذلك مثلاً أن اليهودية جاءت بالقصاص وحده ، والمسيحية بالعفو وحده ، ثم جاء الإسلام بالعقوبة والعفو جميعاً . والأمثلة على ذلك كثيرة يعرفها كل من اطلع على مقارنة الديانات ، ولا شك أن الإسلام هو أحدث طبعة ، للديانات السماوية .

إن الله يحب المحسنين . . - و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . - فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك الذين لا يوقنون . - فاصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجراً جميلاً . . ولقد أشرنا فيما سبق إلى ما طالب به الله تعالى نبينا الكريم من العفو والاستغفار لخصومه : « فاعف عنهم واستغفر لهم . - إذا جاء نصر الله والفتح ... فسيح بحمد ربك واستغفره » (١) ، ونريد أن نضيف إلى ذلك - مما يؤيد رأينا - قوله تعالى لنبية : « فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . » القلم : ٤٨ ؛ قال النيسابوري في تفسيره (٢) : « قال بعض العلماء قوله كصاحب الحوت ، أى أنه كان فى ذلك الوقت مكظوما أى مملوءاً من الغيظ ، فكأنه قيل : لا تكن مكظوما ، أو لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة ؛ وقال جمع من المفسرين إن الآية نزلت بأحد حين حل بالمؤمنين ما حل ، فأراد أن يدعو على من انهزم . وقيل نزلت حين أراد أن يدعو على ثقيف . » وقال الطبري في تفسيره (٣) : « لا تعجل كما عجل ، ولا تغضب كما غضب . » فسماحة الإسلام فى العفو صريحة غير مسبقة .

١٢ - وبعد فقد عرضنا لما جاء به القرآن الكريم عن العفو من حيث الكيف والموضوع ، فإذا نظرنا إليه من حيث الكم ملك نفوسنا الإعجاب والروعة لكثرة الآيات التى نزلت فيه ، كثرة توقظ النفوس إلى ذلك المعنى السامى ، والمبدأ الخطير ، الذى يفعل مالا تفعل العقوبة ، والذى إذا أحسن استخدامه قام بما تقوم به العقوبة من غير أن يعقب من شرور العقوبة شراً ؛ فهو ينزع الآحن من القلوب ، ويستل السخائم من الصدور ، والله هو العفو الغفور .

محمد بن عبد الله

بجامعة منتسب

{ الحرم سنة ١٣٥٧ }
{ مارس سنة ١٩٣٨ }

(١) راجع ما جاء فى رقم ٩ (١)

(٢) تفسير غرائب القرآن ، ج ٢٩ ص ٢٤

(٣) جامع البيان ، ج ٢٩ ، ص ٢٩

ذكرى جمال الدين الأفغانى

٩ مارس سنة ١٨٩٧ م

للمستاذ مسنين مسن مخلوف

نهضت مصر ، وكان من الوفاء أن نذكر أول من وضع بذور الحرية في هذه الديار ، وحمل المصباح ، ونبه المصريين إلى العزة والكرامة والاعتراف من مناهل العلم القديم والحديث ، تلك المناهل الصافية الخالصة لنفع الأفراد والجماعات ، ذلكم هو جمال الدين الحسينى الأفغانى . رجل جاء من بلاد الأفغان فى أواسط آسيا فأيقظ النفوس من رقدتها ، وأعلن الحرب على الجرد ، ودعا الناس أن يفتحوا عينهم إلى ما استنبطته العقول الأوربية من العلم الحديث ، وأن يخلعوا الأكفان البالية فيعيدوا لمصر شبابها ، وينقوا الحضارة الإسلامية من الخرافات .

إحدى وأربعون سنة مضت على وفاة السيد الأفغانى والعوامل الاجتماعية والسياسية وأصوات الحرية تهز الشرق هزاً عنيفاً ، وتهيب بالشرقيين عامة وبالمصريين خاصة ألا يطمئن لهم مضجع حتى يرفعوا رءوسهم ، ويستردوا مجدهم ، ويقفوا مع العالم المتمددين جنباً إلى جنب ، وكادت دعوة جمال الدين تؤتى أبرك الثمرات ، وصيحته تبلغ مداها . لم يكن جمال الدين أعلم العلماء ، ولا أبرع الكتابين ، ولا أمهر السياسيين ولكنه كان أخلص المخلصين .

رجل تجردت نفسه من مطامع المادة وأدران الصغائر التى تأكل حسنات الشرقيين أكلاً ، وتستولى على أسماعهم وأبصارهم ، وترين على قلوبهم . ذلك دام الشرق الويل .

كان السيد شعلة متقدة من الإخلاص لا يأتئها الاتهام من بين يديها ولا من خلفها إلا ما كان من صغائر الحساد وعداوة الذين لا يعقلون . كانت الحكومة

المصرية تجرى على السيد عشرة جنهات شهريا في عهد إسماعيل باشا ومع ذلك لم ينج من نقده رجال الحكومة أجمعون ، وهم أحرار في العشرة الجنيهات تستبقى أو تسترد ، وكانت حكومة السلطان عبد الحميد جعلت له في آخر حياته مرتبا شهريا قدره سبعة وخمسون جنيا ، وأسكنته في قصر منيف في استامبول ، ومع ذلك فقد كان السيد أشد على السلطان عبد الحميد من كي النار وقطع السيوف حتى أقض مضجعه ، وانتقد سياسته الغاشمة ما شاء له الانتقاد ، وخرج جمال الدين من الدنيا فقيرا مسكينا كما دخلها فقيرا مسكينا .

قال السيد رشيد رضا نقلا عن الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

« إن السيد الأفغانى لم يعمل عملا حقيقيا إلا في مصر ؛ فهو المزلزل الأول لجود الأزهر ، والمصلح للتعليم الإسلامى ، ومؤسس الحزب الوطنى لايجاد حكومة أهلية صالحة . »

وكتب عنه الشيخ محمد عبده :

« هو لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل أو يطهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معالى الأمور أو يستلفت الفكر إلى النظر في الشؤون العامة مما يمس مصالحة البلاد وسكانها ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول ، وأخذت الحرية تظهر في الجرائد . ومن يطلع على أعداد جريدة مصر وجريدة التجارة ومرآة الشرق والأهرام وصداها يرى حقيقة ما ذكرنا . »

تحدث السيد من أسرة شريفة من بلاد الأفغان - أو الفرس - على خلاف بين المؤرخين في ذلك ، ترتقى إلى الحسين بن على رضى الله عنه ، ودرس العلوم العربية والشرعية والعقلية ، وكان شديد الميل إلى الفنون العسكرية ، ثم صار قائدا في بعض الحروب الأفغانية ، وخرج من بلاده إلى الحجاز ليحج ثم عاد إلى بلاده ، وبعد أحداث وفتن جاء إلى مصر فالتقى بها عصا التسيار سنة ١٨٧١م وكان ذلك في أواخر عصر إسماعيل ف جذب إليه بعض أذكاء الشباب من طلبة الأزهر ولقيضا من كتاب الصحف وأعيان المصريين . وكان مجلسه في قهوة (متايا) أمام حديقة الازبكية أو في المتنزهات أو في منزله ، فسمع الناس ما لم تعهده آذانهم من

حديث العلوم والآداب والمنطق والفلسفة على نمط خاص مغاير لنمط الأزهر ، سمعوا بموقف المسلمين من علوم أوربا ووجوب الاستفادة منها ؛ فاتصل خبره برياض باشا رئيس النظار فقربه ، وحجب إليه الإقامة في مصر وأجرى عليه راتباً قدره عشرة جنيهات شهرياً كما ذكرنا ، فاستقر ثمانى سنوات وهى أطول مدة مكثها فى أثناء طوافه بالشرق وأوربا ، لذلك كان نصيب المصريين من أفكاره الحرة أوفر من نصيب غيرهم من أمم الشرق .

قال عنه أديب اسحاق . من حملة لواء الصحافة فى ذلك العهد :
 « إنه كان يتتبع حركة المعارف الأوربية والمستكشفات العصرية ، ويلم بما وضع اهل العلم ، وما اخترعوه جديداً حتى كأنه قرأ العلم فى بعض مدارس أوربا العالية .. »

كان أظهر شئ فى السيد جمال الدين الجاذبية وقوة التأثير فتعلق الناس به ، يحضر مجلسه أشتات من الناس منهم الصحفي والشاعر والطبيب والمهندس ، وبعد أن يتحدث فى الموضوعات العامة التى تشغل بال الناس يجيب عن أسئلة السائلين كالسيل المنهمر لا يتلثم ولا يتوقف حتى يشتعل رأس الليل شياً فيعود إلى داره . وكانت الصحافة وليدة فى مصر ، فحمل تلاميذه على التمرن على الانشاء الأدبى والكتابة الصحافية ونشر محاسن الدين الإسلامى ، والدفاع عنه فى الجرائد من طريق القلم الذى يعتمد على العقل والمنطق ، وقوة الحجة ، ونصاعة البيان أكثر مما يعتمد على النصوص التى لا يؤمن بها الخصم . ثم الكتابة فى السياسة المصرية ونيات أوربا نحو الشرق .

أما الخديو اسماعيل فقد وسع صدره للنقد ورأى فيه طلائع نهضة فكرية كان يسر بها ويشجعها ، وأما وكلاء الاستعمار فى مصر فقد تربصوا بالسيد الدوائر ، وانتظروا الفرص السانحة للسكيد له .

انقادت الطبقة المستتيرة فى مصر من الأدباء والأعيان للسيد جمال الدين فأسس منهم جمعية (ماسونية) . كان يجمعهم خفية ، ويفيض فى نقد الحكومة ، ومقاومة الاستعمار فى الشرق .

وبعد حين تمخضت الحوادث عن (الحزب الوطنى) بزعامة جمال الدين ،

فأوفده الحزب لمقابلة الخديو إسماعيل ، ولما مثل بين يديه ذكر له آمال الأمة في الشئون المختلفة من مالية وسياسية .

ثم عزل الخديو إسماعيل وتقلد الأمر الخديو توفيق فاتهمز وكلاء الدول الفرصة للانتقام من السيد وهم يعلمون أن جمال الدين هو الذي كان ولا يزال يكشف سياستهم ويحذر الناس مكرهم ، فاقضت سياسة الحكومة أن تصدر أمراً بنفيه ، فقبض عليه في ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ وهو ذاهب إلى منزله بعد انتهاء السهرة على عادته ، وحمل في الصباح في عربة مقفلة إلى محطة سكة الحديد ، ومنها نقل تحت المراقبة الشديدة إلى السويس ، وأنزل منها إلى باخرة أقلته إلى الهند ، وصدر بلاغ من الحكومة يقول : « إن هذا الرجل رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا ، وينذر كل من يتصل بهذه الجمعية . »

في سنة ١٩٢١ وأنا طالب في مدرسة دارالعلوم ذهبت إلى منزل بعض المعارف لاهنته بالعيد فرأيت شيخاً أحت السنون ظمره من الأسرة الباطنية فعرفت أنه كان من أعضاء الجمعية الماسونية التي أسسها جمال الدين ، وكان من قول هذا الشيخ لي : « إن السيد كان مهيب الطلعة . ولما سمعت بنفيه كنت في الزقازيق فذهبت إلى محطتها لأراه فوجدت الشرطة قد أحاطوا به وأنا عالم بفقره وأنه لا يبقى من المال باقية فأخرجت كيس نقودي ، ودسسته في جيبه ، فزعه مغضباً محتداً وقال : خذ كيسك وإلا القيته تحت القطار . أنا أخرج من مصر وليس في جيبى إلا ريال واحد ، والأسد لا يعدم فريسة حيثما ذهب ، قال المحدث : وخفت على نفسي أن يراني أحد أعطف عليه ، وخشيت المناقشة في ذلك ، فأرجعت كيسي إلى جيبى وتحرك القطار . »

ثم ألزمت الحكومة الإنجليزية بالبقاء في الهند ، وهناك ألف رسالة في الرد على الدهريين ، ولما أخفقت الثورة العراقية ، واحتل الانجليز مصر ، سمح له بالسفر حيث شاء ماعداً مصر ، فاختار السفر إلى أوروبا ، واستقر في باريس ، وكان تلميذه محمد عبده منفياً في بيروت عقب الثورة فاستدعاه إليه ، وهناك أمدّه أعوانه في مصر والشرق بالمال والرأى ، وصاروا أعضاء جمعية (العروة الوثقى)

على ان تكون لها صحيفة تطبع في باريس باللغة العربية بهذا الاسم ، فصدرت
الجريدة حادة الأسلوب يدير سياستها السيد جمال الدين : ويرأس التحرير محمد
عبد ، بسطا على صفحاتها سياسة الشرق والاسلام ، وكانت انجلترا الهدف الذى
صوبوا إليه سهامهما خاصة .

صدرت الجريدة ووزعت في بلاد الشرق ، وما جاء فيها بعنوان (تنبيه)
« وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا
بعذاب أليم . »

« ملعون من يمكن الا جانب من دياره . ملعون من يختلج في صدره ان يلحق
عاراً بأمتة . ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه . ملعون من يبيع أهل ملته
بحطام يلتذ به . عجبا لعجا لاحول ولا قوة إلا بالله . »

فاعلنت الوقائع المصرية أن كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم خمسة
وعشرين جنيا ، وظل الانجليز يسدون في وجهها باب الشرق ، ويعادون من
يظنون انه يرأسها أو يساعدها حتى نضب موردوها ، وعجز السيد عن إصدارها
بعد أن صدر منها ثمانية عشر عدداً .

ظل السيد وتلميذه ثلاث سنوات في باريس ، ثم عاد محمد عبد إلى الشام
فصر بعد أن عفى عنه . أما السيد فقد قصد لندرة وهناك أصدر صحيفة بالعربية
والانجليزية تسمى (ضياء الخافقين) تذكر مساوى الاستعمار وتنقد استبداد
شاه العجم ، فضاق الانجليز به ذرعاً فوسطوا السلطان عبد الحميد فذهب إليه
مفير تركيا برسالة من السلطان ليحل ضيفاً عليه في الأستانة والرسالة كلها إكبار
وتبجيل فقبل الدعوة ، وأعد له السلطان عبد الحميد قصرأ جميلا . وفرض له
سبعة وخمسين جنيا شهرياً ولكن السيد أحس أنه شبه معتقل ، وأن الخدم الذين
عينوا له من جواسيس السلطان ، فتضرع للسلطان أن يدعه يسافر حيث شاء ، فلم
يسمح له بالسفر ، فأطلق لسانه في نقد سياسة السلطان الاستبدادية ، وصار يته
موئل الأحرار والناقمين على دولة آل عثمان ، وكان من طبع السيد أنه لا يخاف
البطش ولا يعرف مداراة الحكام .

أما رأيه في الإصلاح العلمى والاجتماعى فيتضح من قوله :

« حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقطع مارسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى، مثل حملهم القضاء والقدر على معنى يوجب ألا يتحركوا لطلب مجد، ولا لتخلص من ذل . ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان الذى حملهم على عدم السعى وراء الإصلاح والنجاح . فلا بد من بث العقائد الدينية الحققة في الجمهور وشرحها لهم على وجهها المناسب . ولا بد أيضاً من تهذيب علومنا وتنقيحها وتأليف كتب فيها قرينة المأخذ لنستمع بها على تقدمنا، لا أن نجعلها علماً مقصوداً لذاته . كعلم النحو والبلاغة: يصرف الإنسان جل حياته في الاشتغال فيهما، ولا يقدر على إنشاء مقالة يعبر بها عما يقوم في نفسه من الأفكار في إصلاح للوطن، وتعزيز للدين، وتقوية للأمة . »

كان السيد جمال الدين شديد الذم والانتقاد لشاه إيران، فوق انتقاده لعبد الحميد وخرق عبد الحميد، فاشتكاها سفيرها إلى السلطان، فطلب منه الكف عن مهاجمة الشاه . ولكن حدث أن قتل الشاه بعد ذلك، فاشتدت الريبة في تحريض جمال الدين، فأمر السلطان بتشديد الرقابة عليه ومنع الناس من الاختلاط به . وقطع عنه الراتب الشهرى فاشتد عوزه، وتضاعف فقره، واشتد عليه مرض السرطان بعد ذلك . ويرجح بعض المؤرخين أنه مات مسموماً؛ إذ أصيب في أسنانه، واتصل أعوان السلطان بالطبيب الذى يعالجه، فلقح شفثيه بمادة سامة، واشتد السرطان في فكيه بعد ذلك، فعملت له عملية جراحية لم يراع في إجراءاتها واجب الإخلاص والذمة، فتوفى صبيحة الثلاثاء ٩ من مارس سنة ١٨٩٧ م . ولما بلغت الحكومة التركية نعيه أمرت بضبط أوراقه وبدفنه سريعاً من غير احتفال .

حدث الرحالة الروسى الشيخ عبد الرشيد إبراهيم الذى يبشر بالإسلام في الشرق الأقصى من سنوات، وقد بلغ من الكبر عتياً، أن السيد لما اشتد به المرض دعاه يده لأنه ما كان يستطيع التكلم، وأخذ قلماً وورقة وكتب فيها

« تشهد يا الله أن آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم : أمّتي أمّتي ، وأنا أقول :
ملتى ملتى ملتى . »

ألقى السيد المجاهد في حفرة ، وكانت الأرض تضيق عن نفسه فوسعته حفرة
في رمله . واختفى قبره ، وبقي في القلوب ذكره ، لولا أن قبض الله محسناً أمريكياً
محباً للشرق والإسلام هو المستر كراين بحث بين القبور في مقابر الآستانة عن
قبره ، ولما اهتدى إليه أقام شاهداً فخماً من الرخام سنة ١٩٢٦ م نقش عليه
اسمه ، وهكذا عاش السيد غريباً يحمل هم الشرق كله وبين جنبيه قلب وهبه
لخدمة الشرق والشرقيين ، والإسلام والمسلمين ، فلئن ذهب شخصه وتوالت
السنون على فقدته ، إن الجذوة التي أوقدها لن تتمد أبداً . أسبغ الله على روحه
شآئيب الرحمة والرضوان .

مسنين من مخاوف



القصة في الأدب العصري

للمؤلف: علي النجدي ناصف

مفتش المعارف بالاسكندرية

ليست القصة على إطلاق معناها بدعة في الأدب الحديث، ولكنها فن قديم عالج القدماء، وأصاب حظاً من عنايتهم وجهودهم، ثم انحدر إلينا فيما انحدر من تراثهم الأدبي الوافاً شتى، تتفاوت قيمة وموضوعاً. وعلى كل منها مسحة من البيئة التي نبت فيها، وسمعة من العصر الذي أظله، فتوزعت الطوائف، ولأق كل صنف حظوة الطائفة التي آثرته ووجدت فيه متاعها الفني.

فالأمثال الفرضية التي وضعها العرب على السنة الحيوان. والاساطير التي يرويها حفاظ الأدب العربي ورواته، وكيلة ودمنة، ورسالة الغفران، والمقامات، وألف ليلة وليلة بما أضيف إليه، وأدخل فيه، وقصة سيف ابن ذي يزن - كل أولئك أمثلة للقصة العربية في عصور مختلفة.

وأعتقد أن لا سبيل إلى تعيين الوقت الذي بدأ فيه الإنسان يصطنع القصة بعد أن استقرت حياته؛ لأن وجودها على ما يظهر لا يرتبط بطور خاص من أطواره، ولا يستوجب حالة معينة من حالاته. وإنما هي لازمة من لوازمه، يضطر إليها إضطراراً في بعض مراقب الحالات مهما تكن درجتها، وأياً كانت الصبغة التي تصطبغ بها. فالإنسان إذا تحدث بعينه طبعاً إقبال السامعين عليه، وارتياحهم لحديثه، وإعجابهم به. فهو لذلك يحرص أن يجعل حديثه شائقاً جذاباً، فإذا لم تسعده مواهبه الشخصية، أو لم يكن له من مكاتبة الاجتماعية، أو من الموضوع الذي يتحدث عنه - عوض يكفل له التسلط على السامع، والاستئثار بالانتباه. فربما لا يرى بأساً من التزيد في الحديث: يصل به الحواشي والذبول، ويفخم وقائعه بالتهويل والتخيل، وذلك هيكل القصة أو نمط منها بسيط

وللقصة اليوم شأن جليل ، ومنزلة لم تبلغها من قبل . ولا تزال العناية بها تزداد يوماً فيوماً ، فكثير من الكتاب والمتأدين يعالجونها وضعاً ونقداً ، أو دراسة وتعقيلاً ، والجمهور بها مولع ، وعليها حريص ، يقرأها مكتوبة ، ويشهدها ممثلة في دور التمثيل أو الخيالة ، وتعنى بها وزارة المعارف وبعض أصحاب الأموال والأعمال : يقيمون لها المسابقات أحياناً ، ويرصدون الجوائز لأصحاب القصص البارعة للتمثيل أو النشر .

على أن نتاج أدبائنا منها لا يزال قليلاً ، بل قليلاً جداً بالإضافة إلى رغبة الجمهور وإقباله ، ولذلك ترى القصص الغربية المعربة تتدفق تباعاً من المطابع العربية . ولعل أهم ما يمتاز به غلبة السرعة عليها في الترجمة والطبع ، وفي الهيئة والشكل . وهي مع ذلك نافقة السوق لا يكاد شيء منها يبور . والقصص الغرامية والشرطية أكثرها رواجاً ، وأشيعها تداولاً ، وأحبها موضوعاً إلى نفوس القارئتين .

وليس عجباً أن يكون للقصة هذا الشأن العظيم . فالقصة الصالحة من أمتع معارض الحكمة ، وأنجع الوسائل لبث موعظة ، وتغيير منكر ، وبسط رأى ، واستصلاح أمر ، ونشر دعوة . وهي بعد محببة إلى النفوس ، قريبة من أفهام الشدة والدهم ؛ لقلة مثوتها ، وغلبة الغرابة والمفاجأة على حوادثها ، وكثرة المشوقات فيها .

وبحسبك — والله المثل الأعلى — أن كتاب الله المجيد يقص الكثير من أنباء الرسل ، وأخبار الأمم الماضية ، ويكرر عرض هذه وتلك في تفصيل وإسهاب تارة ، وإيجاز قليل أو كثير تارة أخرى ، لتثبت فؤاد النبي ، وموعظة وذكري المؤمنين . وثمة أيضاً تشابه التمثيل المنبثقة فيه ، لا تكاد تبعد من القصة ولا تجافها ، ولها من الروعة والطلاوة وبلاغة التأثير ما لها .

ثم إن القصة ميدان رحيب ، يجد فيه الكاتب الملبق مضامير شتى لخياله السري ، وفكره الثاقب ، ونظرة البعيد ، فيتهيأ له فيها ما لا يكاد يتهيأ في سواها ، من حسن الاقتنان ، وروعة التصوير ، والتلطف في الإقناع ؛ لأنه في القصة يخلق من خياله عالماً خاصاً ، يستجمع فيه من عالم الحقيقة كل ما يقتضيه حبك

القصة ، وتساق وقائعها : من الرضا والسخط ، والترتيب والشعث ، والسعادة والشقاء ، والليل والنهار ، والدمامة والحسن ، والخير والشر ، وكثير غيرها أو مثلها بما تضطرب به الحياة في عالم الحقيقة الواقعة . وهو حين يزجى الحوادث ، ويصف الملابس وينطق الأشخاص — ينفث هنا وهناك رسالة القصة ؛ فتتسلل ديباً إلى مواطن الاقناع ، حتى لقد يقع في النفس أن هذا الذي يتمثل لها من وقائع القصة ، ويلقى إليها على السنة أشخاصها — ليس إلا قطعة من الحياة في دأب معتاد ، وحال مألوقة ؛ فتأثر به كتأثرها بالبيئة ، وتطمئن إلى وحيه كما تطمئن إلى العقيدة المستقرة ، أو الرأي الخاص : تهدي إليه النظرة الشخصية ، أو التجربة الذاتية ؛ فتعصب له ، ولا يسهل أن تتحول عنه .

فهل ترى جمهرة أدبائنا المولعين بالقصة ، يتناولونها من أكرم نواحيها ، أو يقصدون بها إلى أنبل غاياتها وأجلها للخير ؟

دع القصص المدرسية ، وطائفة قليلة من القصص التحليلية الأخرى ، التي وفق بعض الأدباء في وضعها ، وتحروا بها وجه الحكمة والفضيلة . ثم اقرأ أية قصة في كتاب أو صحيفة ، ولا تتكلف التقصي والاستقراء في سبيل الدرس والتهدي إلى صواب الرأي ، فقليل هذه القصص يغنى عن كثيرها ، بل إن بعضها ليدل على جهلها . فإذا ترى ؟ ترى الموضوع ساقطاً مبتذلاً ، والعبارة في أكثر حالاتها سخيفة مستهجنة لا تترفع أحياناً عن العامة الخالصة ، ترى المرأة في كل قصة صاحبة الحول والطول ، أو هي — كما يقولون — قطب الرجي : تدور الوقائع كلها من حولها ، فعلا وتديراً ، أو وحيًا وتأثيراً ، وتجد النهاية التي تنتهي إليها القصة أبداً هي ضعف إرادة المرأة ، وعجزها عن مغالبة عواطفها الجنسية ، حتى ما تكاد تقرأ على مراوغة أو إغراء ، ولا تتأثم في الخيانة والاستسلام .

صحيح أن المرأة تسهم في أمور الحياة بنصيب كبير ، وأن القصة في وضعها الصحيح قطعة من الحياة ، فمثلاً تصوي عاطفة الأبوة تصويراً صادقاً يجلبها على حقيقتها في الفطرة المستقيمة — يلاقى من ارتياح القارئ وحسن إقباله كل

ما تلاقيه صورته المرسومة ، تحكيه في وضع من الأوضاع ، أو على حالة من الحالات . وكلما كانت هذه وتلك أشبه بالحقيقة ، وأجمع لذائقها ، وأشد تبييناً لسرايرها — كانت أرفع قيمة ، وأوفر حظاً من الفن . فلا تثريب إذاً على الكاتب أن يتناول المرأة في القصة تصويراً وتحليلاً ، بل من محاسن التوفيق أن يفعل أحياناً ، ولكن الذي لا يستساغ منه ولا يغفر له أن يضع المرأة في غير وضعها ، ويتكلف لها من الأمر ما ليس لها ، وأن يقصر همه في درسها وتحليل شخصيتها على ناحية واحدة ، يقف عندها ، ولا يكاد يريم .

تلك هي ناحية العبث والمجون كما تكون في المرأة اللاهية المستهترّة ، كأن هذا هو شأن المرأة في فطرتها ، أو كما يجب أن تكون .

إن من الاسراف في التغرير والملاق أن نلقى في روع المرأة أنها صاحبة الحل والعقد في أمور الحياة : لا يبرم أمر ولا ينقض ، إلا ولها به صلة من قريب أو بعيد ؛ فإن للمرأة مهمة تصلح لها ، وللرجل أخرى تصلح له ، ومن تعدّى الحدود القائمة . وقلب الأوضاع الصحيحة ، أن تنافس المرأة الرجل في مهمته . وإذا كانت المرأة في بعض الأمم الغربية قد سابت الرجل في مضماره ، ونازعته كثيراً من حقوقه وواجباته ، فامتد سلطانها ، وزاد نفوذها — فهل بلغت المرأة الشرقية ، وبخاصة المسلمة هذا الشأ ؟ وهل من الصدق في أدب القصة أن ندعي لها هذا الشأن ، وننسب إليها ما ليس فيها ؟

حقاً أن براعة القصة ليست دائماً في تمثيل الحياة الواقعة تمثيلاً مطابقاً ، ولكنها كذلك في تصوير المثل العليا ، وتخيل الآمال الشاردة تخيلاً يدني بعيدها ، ويحقق أحلامها في ذهن الكاتب ، حتى يستطيع أن يتحدث عنها بالغيب ، كما يتحدث عن الحقائق الجارية في محيط معين ، أو أفق آخر من آفاق الوجود فتعلق بها الإرادة وتتناول إليها النفس . وربما استجابت لدواعيها ، وأعدت العدة لطلبها .

فهل ترى المستهترين من كتاب القصة المصرية يريدون بالحديث عن امرأة لا وجود لها في البيئة الشرقية الكريمة ، أن يسبقوا الحوادث ، ويدفعوا المرأة

الغافلة المؤمنة دفعا إلى المصير الوخيم ، الذي يخيل لهم فهمهم الخاطئ أنها صائرة إليه ؟ إن كان هذا ما يريدون ، فيألفها زلة مالها من مقيل أو أي زلة أهول هولا ، وأسوأ عاقبة من إشاعة الفاحشة ، وتحريض الناس أن يحبوا حياتين متناقضتين ؟

وإذا كان للقصة كل ما أسلفنا من قوة التأثير ورواج السوق فكيف يمكن إلا غضاء عن القصص الخليع ، وهو في رأي ليس أقل عصفا بالأخلاق وجناية على الآداب من التحريض على الفسق ، وعرض الصور المثيرة للغريزة الجنسية ؟ وكيف يكون واجبا أن تصان أبصار الجمهور عن رؤية المناظر المنافية للعفاف والتصون ، ثم لا يكون واجبا كذلك أن تصان أبصاره عن قراءة الأدب الخليع وأذهانه عن أمثال حوادث المجان ، وتعرف حيل التفرير بالمرأة ، ووسائل النجاة من تبعه سقوطها والجناية عليها ؟

ربما أفهم أن يطيب لبعض الغربيين في قصصهم هذا المنحى الخليع ، يتجهون إليه ، ويؤثرونه على سواه ، ولكنني لا أستطيع أن أفهم كيف يطيب لجمهرة القصصيين من أدبائنا أن يأخذوا هذا الأخذ المعوج ، الذي يناقض آداب المجتمع الشرقي ، ولا يتفق في شيء مع الدين الحنيف .

على أنه إذا لم يكن لهم بد من ذكر المرأة في قصصهم ، ففي نواحيها البرية الخيرة مندوحة واسعة : هناك الصبر ، والرحمة ، والايثار ، والبر ، والإغراء بالطموح ، وكثير غيرها .

إن أكثر ما أخذناه عن الغربيين متعلقا بالمرأة — غث مرذول ، بل فاسد وويل ، يجب نبذه والتخلص من آثامه وأوضاره ، أما التشجيع عليه ، والدعوة إلى الاستزادة منه ، فضلال وحق . وليس فيه مع ذلك نخر لصاحبه ، ولا هوي يبيع له ادعاء القدرة على القيادة والتوجيه ، إذا صح أن في الخنى موضع نخر ، أو مجالا لاتتحال نوع من القدرة ، فإن النفس الضعيفة بطبعها سهلة الانخداع . يجتذبها الجديد بجذبه ، فتزعم إليه ، وقد تهيم به من غير تحريض ، وإنما الفضل كل الفضل ، والمقدرة ليس أجل منها ، أن يستطيع امرؤ بيانه أن يبت في النفس

الضعيفة قوة ، وينفخ فيها من روحه مناعة تقوى بها على مغالبة نوازي الائم ، والسلامة من الموبقات ، ذلك مقام صعب لا يرقى إليه إلا ذو حظ عظيم من العبقرية والنبوغ .

ثم ما هذه اللغة التي يكتبون بها قصصهم ؟ وكيف يسيغون أن تكون هكذا واهنة مشككة الألوان : تتخاذل ركة وسخفا ، وتتجاوزها العامية والعجمة ، فتذهب بينهما سقطا زريا ، أفترى هذا العجز عن اصطناع اللغة الفصيحة التي تليق وحدها بالأدب القيم الرشيق ؟ أم هو التجديد الذي يتمشدقون باسمه ، ولا نرى له أثارة في أعمالهم إلا هذه الثورة الجائحة حتى على الأوضاع الصحيحة ، والمحارم المصونة ؟ .

ليكن السبب ما يكون ، فالذي لا ريب فيه على أي حال أن هذا الضرب من القصص ليس من الأدب المختل في شيء ، فقد فاته شرف اللفظ ، وسلامة العبارة ، وحرم نبل الموضوع وسمو الغاية .

ألا ليتق الله هؤلاء الدعاة الإباحيون ، أو ليرفقوا بأمتهم ولقتهم ، فقد غلب الوهن على أخلاق الشباب ، وشاع فيهم النزوع إلى التحلل من كل قيد ، وتكاد العجمة تهم بالفصيحة ، وتنازعها شرف المنزلة وجلالة الشأن ، فإلا يكونوا عوناً للفضيلة والبيان الصحيح ، فلا أقل من أن يكفوا عن منازلتها باسم الأدب عامدين أو غير عامدين .

على النجدي ناصف

الدلالة النفسية

للأساليب والاتجاهات الجديدة

لـ «ستار سير قطب»

إن الخلاف في حقيقته ليس خلافاً لنظرياً أو أدبياً كما يحسب الكثيرون ، وإنما هو اختلاف عقليتين ، تكاد أن لا تتفاهان على أساس في النظرة إلى اللغة والتعبير ، بل في النظر إلى الحياة نفسها جللتها وتفصيلها .

« فالمدرسة القديمة ضيقة الإحساس ، بدائية الدور ، قليلة التخيير النفسية ، والتجارب الوجدانية ، بمقدار انفساح الإحساس في المدرسة الحديثة ، ووفرة التخيير النفسية لديها ، والتجارب الوجدانية .

« ولهذا تضيق الأولى بالآخرة ، لأنها تظالمها بالوان من الإحساس لا عهد لها بها ، بعد ما ألفت ألا تنسج إلا للون واحد من ألوان العواطف والحوالج ، تعرفه صورة واحدة ذات معالم وحدود ، فتحسب أن كل ما في هذه الأحاسيس الجديدة إنما هو اختلاف في التعبير ، والواقع أنه اختلاف في الحالات النفسية التي استدعت هذا التعبير . »

سيد قطب

جاءت هذه الفقرات في كلمتي الأولى بالمعبد الماضي من « صحيفة دارالعلوم ،

تحت عنوان « الدلالة النفسية للألفاظ والتراكيب العربية ،

وقد كان بجئي إذ ذاك مقصوراً على ما تضمنه العنوان ، ولكنني أردت

فقط أن أشير فيه إلى أن هناك خلافاً أساسياً بين المدرستين ، لا يقف عند حدود

الألفاظ والتعبيرات ، وأن هذه إنما اختلفت تبعاً لذلك .

وأحسبني أفلحت في كلمتي الأولى ، في بيان هذا المعنى الأخير ، وأصبح

مفهوماً أن الأسلوب أو طريقة الأداء إنما هي اتجاه عقلي ونفسي قبل أن يبرز

الفاظاً وتراكيباً ، وأن التجديد متى شمل « المعاني ، والانجاء الفكري ، فلا بد

أن يشمل ، الأسلوب ، أو طريقة الأداء ، لأنه لا انفكاك بينهما .
ولقد قرأت أخيراً مقالا في ، البلاغ ، بإمضاء ، عجوز ، يتهم فيه بالمجدين
ويعجب كيف يتناول التجديد التراكيب والأساليب ، إذا صح أنه يتناول
المعاني والأفكار ، فعجبت أن تكون هذه مشكلة تستحق البحث ، وتدعو للجدل ،
وليس منشأ مثل هذا الفهم إلا إغفال الدراسات النفسية ، عند البحث
في اللغة أو الأدب ، ولو عرفنا في بساطة ساذجة ، أن التعبير ، لا يكون إلا
عن ، انفعال ، ، وأن الانفعال خاضع للبحوث النفسية ، كما قلت في كلمتي
السابقة ، لعرفنا أن الاتجاه الذهني هو الذي يحدد الأسلوب ، وأن الحكم على
صحة أسلوب ما يستدعي البحث في الحالة النفسية التي يصورها ، وأعني بالصحة
صدق تصويره لهذه الحالة . وإلا فما يختلف اثنان في وجوب الصحة اللغوية
في القديم والحديث على السواء .

ولقد فرغت في البحث الماضي ، من عرض بعض التعبيرات التي تكثر في المدرسة
الحديثة من ذكرها ، وشرحت الحالات النفسية التي تستدعيها ، وما عنت بذلك
أن أستقصى تلك التعبيرات ، وهذه الحالات ، إنما أردت أن أفصح الأعين على أفق
جديد من آفاق النقد والنظر إلى الآثار الأدبية الحديثة ، في رحابة ودقة وإمعان ،
وأن أقرن البحث النفسي إلى البحث الأدبي واللغوي ؛ ليعلم أنهما متلازمان في
النقد الصحيح ، وأن مهمة الناقد ليست من السهولة بحيث يستطيعها كل من درس
دراسة أدبية بحتة ، ما لم يكن له من البصر الطبيعي بالحالات النفسية ، ومن سعة
الإدراك للوجدانات المختلفة ، ما يضمنه إلى هذه الدراسة ، ويستخدمه في النقد
وإصدار الأحكام .

وأحسب أن هذه مسألة لا يستكثر فيها الحديث ولا يستطال ، فأننا أزعج
أنها جديدة على النقد الأدبي في اللغة العربية ، وأنها إذا كانت قد نالت بعض الالتفات
في بعض الأحيان ، عند بعض النقاد القدماء والمحدثين في هذه اللغة ، فإنها لم
تأخذ بعد شكل النظريات المسلم بها ، والقاعدة التي يقاس عليها .

(٧ صحيفة دار العلوم)

فإذا عدت إليها اليوم في مقدمة بحثي ، بعد ما قررتها في البحث الأول ، فإنما ذلك بسبب ما قدمت .

كذلك أود أن أعود لمسألة اختلاف الأساليب ، تبعاً لاختلاف العقليات ، بله اختلاف الموضوعات (فهذا مسلم به تقريباً) ، لأقرر أنه ليس من اللازم أن تجرى أساليبنا نحن في مصر ، وفي هذا العصر ، على الأساليب العربية المعروفة ، في بطن الجزيرة ، والبلاد العربية الأصيلة والدخيلة ، وهذا كله مع احتفاظنا بالنطق بهذه اللغة ، ومحافظتنا على صحة إعرابها وسلامة ألفاظها .

وأنه لن يستساغ منا اليوم أن نجري في تعبيرنا ، أى في ترتيب الألفاظ ، وتنسيق التراكيب ، على نحو ما كان متبعاً في كثير من عصور هذه اللغة ، ولو فعلنا لبدا أسلوبنا مغايراً لحياتنا وطريقة تفكيرنا ، واتضحت الهوة بين عقلنا ونطقنا .

وليس في نيتي أن أفاضل بين الأساليب ، لأقررأيها أبلغ من الوجهة الأدبية البحتة ، فما أعرف أسلوباً أبلغ إلا مقيساً إلى الحالة النفسية التي يعبر عنها ، ومقدار إبانته عن هذه الحالة في صورة جميلة ، متناسقة مع العقلية العامة ، التي أنشأت هذه الحالة .

فقد يكون بعض الكتاب ، وبعض الشعراء في العصر العباسي مثلاً ، أجود منا نحن اليوم أسلوباً ، ولكنني — كأديب — لا أرتضى كثيراً من أساليبهم هذه ، لأنني قد آتى أجود منها ، بل لأنها لا تناسب طريقي أنا الخاصة في الأداء ، وطريقة العصر الذي أعيش فيه ، والأمة التي أنجبتني .

وإنني لا كون بليغاً أكثر البلاغة ، حين أعبر بطريقي ، وطريقة عصرى وأمتي ، ولو لم أصل إلى درجة البلاغة في العصر العباسي .

وهذا يعادل بالضبط ، أن ألبس كساء فصل على قدى من القطن ، فيكون أجمل وأنسب من كساء آخر فصل على قد غيرى ، من أجود النسيج .

ولست أعني أن كل أسلوب قديم لا يناسبنا منه شيء ، ولكنني أبغى فقط أن

أقرر قبول التحوير والتعديل والابتداع في هذه الأساليب ، حتى تصبح مناسبة لعصرنا الجديد .

وبعد فخلق بكل ما مر حتى هذه السطور ، أن يكون ملحقا بالبحث الماضي ، فهو بعض ما يقال عن الألفاظ وعن التعبيرات ، أو عن الأسلوب ، بصفة عامة . وقد بقي الحديث عن الاختلاف النفسى والعقلى بين المدرستين ، أو اختلاف نظرتيهما للحياة والحالات النفسية فيها .

ويحسن أن أشير هنا إلى أن المعنى بالمدرسة القديمة ليس الأدب القديم ، وكذلك ليس المعنى بالمدرسة الحديثة هو الأدب الحديث . أعنى أنه ليس لكلتا المدرستين حدود زمنية ، فبعض الشعراء الذين عاشوا في العصر العباسى كآبى نواس وابن الرومى والمتنبي نعتبرهم من المدرسة الجديدة ، وبعض الشعراء الذين يعيشون بين ظهرانينا الآن نعتبرهم من المدرسة القديمة . والفروق بينهما فروق في الإحساس والطريقة .

المدرسة القديمة فقيرة في الحالات النفسية ، تقرب كثيرا من دائرة البداوة والطفولة ، والأحاسيس عندها ساذجة أولية ، لها ألوان قليلة محدودة ، وشرح مثل واحد قد يعطى صورة لغيره .

الحب مثلا عندها — وهو إحدى العواطف الكبرى في الحياة — حالة واحدة ، أو حالات شبيهة بالحالة الواحدة ، فهو شوق ولهفة ، وجوى وشكوى ثم تدلل وأسى ، ورقة وخنين .

أو كما يقول أحد الأساتذة عن المتنبي شارحا أثر الحب :

« فلست ترى في أضعاف نسيبه آثار نفس ذللها الهوى ، وأسقمها الحب ، فلا كبد حرى ، ولا قلب مقروح ،

هكذا . مادام هناك « حب » فلا بد أن تكون « ذلة وسقم » ، وكبد حرى ، وقلب مقروح » .

وهذه هي الصورة التقليدية للحب ، عند النقاد العرب ، ولو أن الكثيرين من الناطقين بالعربية في أيام النهضة استطاعوا أن يتخلصوا من هذا الضيق النفسى ، وأن يفهموا الحب فهما أوسع إلى حد ما .

فلا يجوز أن يكون فى الحب قناعة واستكفاء مثلا كما يشبع النهم من أجود الثمار ويستكفى فى لحظة ، وإن كان هذا لا يمنع من تجديد النهم . ولا يجوز أن يكون هناك سلوك ولا صدود من المحب لسبب من الأسباب ، ولا يجوز أن تكون هناك عزة وكبرياء ، ثم لا يجوز أن يكون هناك عنف وقسوة وصخب وتدمير !!! وبطبيعة الحال لا يمكن أن تكون هناك لطفة وعنف مثلا ، ولا حب وبغض يتمشيان جنبا إلى جنب فى نفس واحدة ! ولا حالتان مزدوجتان أو عدة حالات بحال من الأحوال ؟

ولم هذا ، والحب عاطفة إنسانية ، تكون هادئة وناثرة ، رقيقة وعنيفة ، مقبلة ومدبرة ، فائضة بالحيوية ومنحسرة الفيض منظوية على نفسها ، متفتحة ومغلقة ، صاعدة وهابطة . حلقة فى سماء الخيال ومكبة فى أرض الواقع ، ملائكية النفحات ، وشيطانية النزوات ... الخ ؟ .

وتكون هكذا فى النفوس المختلفة ، وفى النفس الواحدة فى الحالات المتباينة ، وبإزاء شخصيات متغايرة ، فى مواقف لا عداد لها .

والحب بعد هذا وذلك . فيض فى نفوس قوية — على نسبة ما من القوة — فيض زائد عن الحاجة ؛ طاقة فائقة عن الضرورة ، تبغى لها متصرفا ومنبثقا ، فكيف يلزمها الضعف ، ويلزمها الغم ، والكبد الحرى ، والقلب المقروح ، ؟ وأين تذهب حالات الرضاء والاكتفاء ، وحالات النهم والالتهام ، وحالات التطلع والاستطلاع ، وحالات التصوف والاستعلاء ، وحالات السخط والغضب ، وحالات العنف والانتقام ... ، وحالات ... مما لا عد له ولا حصر من الحالات النفسية عند المحبين ، بل عند المحب الواحد مع المحبوبات ، بل مع المحبوبة الواحدة فى شتى الانفعالات ؟ .

كل تعبير جميل عن حالة صادقة من هذه الحالات وسواها مما لا يستطيع حصره ، فهو أدب رفيع ، وشعر فني ، وتراث أدبي ثمين .

وعلى الذين يعيرون هذه الألوان متفرقة أو مجتمعة ، أن يستشعروا ضيق نفوسهم عن استيعابها ، وخرج قلوبهم عن التفتح لها ، وليحاولوا أن يوسعوا حياتهم ، وأن يجعلوا من وجداناتهم ، أذنا موسيقية رفيعة ، تستلذ نغمات الأوركستر ، وتطرب للهرموني ، والانسجام في الموسيقى ، قبل أن تطرب للنغمة الواحدة منفردة ، وعلى لون خاص لا تتعداه .

وإني لأضع أمام القارئ نموذجاً رفيعاً للون من ألوان الغزل ، يمثل رحابة النفس الإنسانية ، وتفتحها لتلقى أطيايف الحب المختلفة في لحظة واحدة ، وهي مع ذلك قطعة واحدة ، تعبر عن حالة نفسية واحدة ، (فالحالات المختلفة يبحث عنها في ديوان كامل) ومع هذا يبدو فيها التفتح والفهم ، والرحابة والشمول .

يومنا^(١)

يومنا عاد فهل تعرفه ؟ شد مارعرعه العام السريع
شد ما غذته في نشأته قبلات تشبع الحب الرضيع
هي تُسمى حين تغذو طفلها وهي تسمى طفلها حين تجيع

سنة كانت ربيعاً كلها بين روض يتغنى ويضوع
زهر ناهيك من زهر فإن أنبت شوكا يكن شوك ربيع

(١) للأستاذ العقاد من ديوان « عابر سبيل »

حبذا الشوك من الحب ولا حبذا من غيره العشب المربع

عَضَّ عَيْنِكَ قَلِيلًا وَاسْتَعَدَّ خطوات العام في الأفق الواسع
 كم ترى من خفقة غنت بها ساعة العمر التي بين الضلوع
 كم ترى من قبلة رنت بها نلکم الساعة ؟ قل لو تستطيع
 كم ترى من نشوة حامت بنا حول عليين والعرش الرفيع
 إن يطل شرح المعاني فاختصر كل ما فرقت في معنى جميع
 هو دحب، فإذا فرقته فهو ماراع قديماً ويروع
 هو حب واحد لكنه شائع كالنور من حيث يشيع
 لم يكرر قط في ترداده كل ترداد له خلق بديع
 فإذا عشت له عشت به في بواكير من العيش البنيع

أين يمضي بك يا يوم السرى وعنان الحب يا يوم مطيع
 طفت ما طفت وسأقتك لنا صحة إن ضاع شيء لا تضيع
 وعلى العهد مدى العمر هنا نحن يا يوم . ومأواك منيع
 أبدأ نلقاك والحب معا هاهنا بين مضي ورجوع

هذا تعبير عن حالة واحدة في لون واحد، من حالات الحب ذي الألوان المتعددة، فأين في ماضي الأدب العربي كله تجد مثل هذا التعبير، أغنى مثل هذا الإحساس الذي استدعى التعبير ؟

وهذا مظهر من مظاهر التجديد، الذي تدعو إليه المدرسة الحديثة، شاعرة بانفساح الحياة، ورحابة الإحساس، ووفرة الشعور، وهي بهذا تعمق حياتها، وتضاعف الشعور بها، وتجعل من كل ذرة فيها مادة تأمل واسترواح :

ولعلك واجد من أدباء المدرسة القديمة من يفغر فاه عجباً من أن يكون للحب شك ، وأن يكون هذا الشوك مطلوباً كالحب نفسه ، يقال له : حبذا ، أ . فالمحب في عرفهم يجب أن يكون متطلعاً للصفو والرقّة والليونة ، ولا يجوز له أن يرتضى الشوك من الحب فضلاً عن طلبه . فإن ارتضاه فعلى سبيل التضحية والرهف ، لا على سبيل الطلب والاستحسان .

ولكن الشاعر هنا حي ، فائض بالحيوية ، متبّع لمظاهر الحيوية في الحب والريبع ، فالشوك عنده مطلوب كالزهر سواء بسواء ، لأن كليهما دليل على دفعة لحياة ، وفيض النماء ، ولأن الشوك أصيل أصالة الوردة نفسها .

ولعل هذه الالتفاتة وحدها كافية لبيان المدرستين من فوارق في فسحة الشعور ، واتساع الآفاق ، وفي القصيدة غيرها وغيرها للتأمل بعين الناقد البصير ، وإحساس الحي الموكل بمظاهر الحياة .

وفي الحديث متسع ، ولنا عودة بالشرح والتفصيل ؟

حلاوان

سبر قطب

حظ أبي تمام من بيت الخلافة

- ١ -

للاستاذ عبد الحميد راضى

أحدثكم عن حظ أبي تمام من بيت الخلافة ، ويحدثكم أبو تمام عن حظه من بيت الخلافة كذلك .

وحدثني تاريخ يستمد من الأدب العربى قوة ؛ وحدثه أدب ينطوى على أوضح صفحات التاريخ ؛ وفى التاريخ والأدب مقنع ورضا لمن ينشد من وراء البحث الاقتناع والرضا .

وأبو تمام هذا علم من أعلام الأدب ؛ طالع الناس بشعره ، وطالع الناس شعره ؛ فى أيام المأمون والمعتصم والواثق — فأوا فيه جدة بل ثورة على ما ألفوا ؛ وكلفا بألوان الجمال ، التى سميت فيما بعد بالبديع ، وقد عهدوها ثارا غير مروم فيما عرفوا .

وكان حظه لهذا من الرضا والسخط حظ كل جديد ، يراه المحافظون من جانب ، ويراه الأحرار من جانب ؛ فيبدو لقوم مليئاً بالمغايب خلوا من الحماد ، فيضيقون به وينقمونه ؛ ويتراعى لآخرين مظهرا للفكر الحى ، وصفحة من الأدب الخالد ، فيصفون عليه ثوب الرضا ويؤثرونه .

وهنا تتباين الآراء ، وتتجلى الفرقة فى الحكم ، تبعاً لاختلاف المقاييس وتباين وجهات النظر .

والصراع الفكرى قديماً وحديثاً إذا اشتد — لا يضير المتحدث عنه ، ولكنه ينفعه ؛ ولا يدينه من مهاوى الخمول ، وإنما إلى منابه الذكر يرفعه .

وهذا العهد قد شهد من الاختلاف في الرأي ، واللدد في الجدل حول هذا الشاعر — ما لم يشهده قبله عهد في شاعر عربي .
والنقاد والأدباء تيسر لهم من وسائل النقاش ، وضوابط المنطق — ما لم يتح قبل لغيرهم في عهد عربي .
وليس من العسير بعد ، أن ندرك المدى الذي بلغه النقدة في تناول هذا الشاعر ، بتعقب عثراته أو نشر حسناته ؛ وأن ندرك أن شعره كان مادة خصبة لمساجلات عنيفة ، لم تبق قصراً على ندوات العلم وحلقات الدراسة ؛ وإنما كانت أحاديث يتناقلها الرواة ويردد صداها الآفاق ، وأن ندرك كذلك المكانة التي تبوأها في دولتي الشعر والجاه ، وقد كانت بين الشعراء من السمو بالمحل الذي يقصر دونه جهد الطامحين ، وكانت بين عظماء الدولة وقوادها وولاتها من القرب والنفوذ بالميزلة التي تعز على النابغين المجدودين .

ذلك كان حظ أبي تمام ، وتلك كانت مكانته ، في غير بيت الخلافة ؛ وقد كان خليفاً أن ينال بمواهبه لدى الخلفاء وأبناء الخلفاء ما يوائم هذا الحظ وتلك المكانة ؛ ولكن تعاقب الأيام قد جعله يدرك ما لم يدخل في حساب تقديره وعنت الزمان قد أراه ما لم يستطع له دفعاً بقوة حيلته وأحكام تديره .
وماذا عسى أن يفعل الشاعر ، إذا كان الزمن قد طوى بظهوره أحفل صفحة من صفحات مجد الشعراء ، وبدأ يسجل في صفحة جديدة تباشير انصراف الخلفاء عن الشعر ، ورغبة بيت الخلافة عن قائله .
ماذا عسى أن يفعل إذا كان سوء الطالع يأبى عليه حظ الشعراء السابقين ، ولا يسمه بالحرمان فحسب ، بل يجعله مبدئاً لتاريخ المحرومين :

— ١ —

تحول هذا الشاعر العبقري بآماله عن مصر والشام إلى الخليفة المأمون ؛ نادماً على يوم قضاه بعيداً عن رحابه ، راجياً أن ينال لديه ما لم ينل من ولاته وكتاب خراجهم ، مرسلًا شعره بما يساور نفسه من تقصير ورجاء قاتلاً :

خاب امرؤ نحس الزمان لسعيه فاقام عنك وأنت سعد الأسعد
 ذاهباً به الخيال في المامون وكرمه مذاهب يصورها لنا قوله فيه :
 ما زال يمتحن العلا ويروضها حتى اتقته بكيما السوود
 فكانما ظفرت يدها بالمني أسرا إذا ظفرت يدها بمجند
 ولكن هذا لم يحقق له أملاً ، ولم ينله رجاء ؛ فقد وجد أبواب المامون أمامه
 موصدة ، ووجد المامون عنه في شغل .

وقد يكون العلم والثقافات ، وقد تكون المناظرات الدينية وإغرام الخليفة
 بها ، وقد تكون الثورات والحروب ، وبخاصة ثورات مصر ، وحروب بابل
 والروم ، قد يكون سبب من هذه الأسباب مرد ما جنى الشاعر من إخفاق ،
 وقد تكون هذه الأسباب مجتمعة ، وقد تكون أسباب أخرى غير ما ذكرنا ،
 فالشيء الذي لا شك فيه أنه لم ينل حظوة لدى المامون ، بل لم ينل منه قرباً .

(ب)

هذا أمره في عهد المامون . وأما أمره في عهد المعتصم فقد كان أبعد على
 العجب والرتاء معاً ؛ لا لأن الرجل لم ينل قرباً ولم يظفر بعطاء ، ولكن لأنه
 بالجهد الجاهد ، والشفعاء المقربين ، انتهى إلى قرب أشبه بالبعد ، وعطاء أقرب
 إلى الحرمان ، ومنزلة إن ورثت شيئاً فأنما تورث الغم وتحطيم الأمل :
 لم يتوان أبو تمام في التماس الزلفى لدى المعتصم والقرب منه ، وما ظنك
 بمن كان من شفعااته الوزير ابن الزيات ، وقاضى المظالم أحمد بن أبي دؤاد ؛
 ولم يقصر كذلك في مدحه وربط آماله به . وحسبه أنه القائل فيه :
 إلى قطب الدنيا الذي لو بفضله مدحت بنى الدنيا كفتهم فضائله

هو البحر ، من أى النواحي أتته فلجته المعروف ، والجود ساحله
 تعود بسط الكف ، حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
 ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها ، فليتي الله سائله

رجاؤك للباغي الغنى عاجل الغنى وأول يوم من لقائك آجله
وقد أقام على هذا المدح ، وذلك الالتماس للزلفى أعواماً خمسة من حكم المعتصم
بل تزيد شهراً ، إلى أن سنحت الفرصة بفتح عمورية ، فتقدم ههنا بهذا الفتح
المبين ، منشداً إحدى قصائده الخالدة . وظن أنه بهذا قد نال غايته وأرضى الخليفة
وظفر بالأمنية العظمى التي صبر وصابر في سبيلها ؛ ولكنه كان في هذا التقدير
مسرّفاً مخدوعاً ، فإن هذه الفرصة التي انتهزها لم تزده من الخليفة إلا بعداً ، ولم
تزد الخليفة فيه إلا زهداً . ولم يك هذا لذنوب جنائه وتقصير أتابه ، ولكن لأنه
أجش الصوت سيء الأداء .

على أن أبا تمام لم يبتس لهذا ولم يبتس ، فاختص خلاله اللباقة وسعة الحيلة ،
وسرعان ما وجد الحل طبعاً يسوراً ؛ فإذا كانت الطباع لا تبدل ، والأصوات لا تعار ،
فإن الاستعانة بمن ينشد الشعر في الطاقة ، وفي هذا تخلص من المأزق وبلاغ .
فاستعان بغلامه صالح ، وقد كان حسن الصوت جميل الإنشاد ، ثم حظى
بالمثل ، وحظى بلامه بالإنشاد ، ولكن شعره يذنبنا بأنه لم يتقدم خطوة ولم
ينل خطوة .

ينبئنا بأن اليأس قد غمره ، فأقنى بشاشته ، وكاد يفنى أمله ؛ وأيقظه من
حلم صحبه طويلاً ، فأمن بأن الخليفة راغب عن الأدب ورعايته ، وأن سعيه في
سبيل الخطوة لديه جهد ضائع وطب غير ناجع . فاتجه بما بقي يتردد في نفسه
من رجاء ، إلى أبناء الخليفة يلتمس القرب والعطاء ؛ فاستطاع أن ينشد شعره
أمام أحمد بن المعتصم ، وأن ينال لوناً من ألوان الخطوة لديه ، ولكن هذا لم
يحقق أمانه ، فلم يك أحد ولى عهد ، ولم يكن من كبر السن بحيث يستطيع أن
يفهم الشعر وير المغانم .

— ح —

هذه صورة لما انتهى إليه أمره في عهد المعتصم ، فلما ولى الواثق تقدم إليه
مهتماً معزياً بالقصيدة التي منها :

لله أي حياة انبعثت لنا يوم الخميس وبعد أي حمام

ما إن رأى الأقسام شمساً قبلها أفلت فلم تعقبهم بظلام
وتجدد رجاؤه وعظم أملة ، فأسرف في مدح الواثق ، بل غلا غلواً كبيراً ؛
حيث يقول في مقطعه :

هارون يا خير من يرجى لم يطع الله من عصاكا
لو كان بعد النبي وحى إلى ولي لكنت ذاكا
واستعان بالشفعاء عليه ليبلغ من الخطوة في هذا العهد ما لم يبلغه في العهدين
السابقين ، ولكن عثار الجد كان لازال يظل منزلته من الخلفاء ، فلم يبلغ بمدائح
وشفعاته أكثر مما نال قبل ، وانصرف عنه الخليفة انصرفاً كان من مظاهره أخذ
ابن أبي دؤاد بالاسراف في عطائه :

حدثنا التاريخ أن الواثق قال لأحمد ابن أبي دؤاد يوماً : يا أبا عبد الله ، رفعت
إلى رقعة فيها كذب كثير . قال : ليس بعجيب أن أحسد على منزلتي من أمير
المؤمنين فيكذب علي . قال الخليفة : زعموا أنك أعطيت شاعراً ألف دينار
(وهو يعنى بكلمة شاعر أبا تمام) . قال ابن أبي دؤاد : ما كان ذاك ولكني أعطيته
دونها ، رعاية كما قال للمعتصم غفر الله له ، في أمير المؤمنين أعزه الله :

فاشدد بها دون الخلافة إنه سكن لوحشتها ودار قرار
واقعد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار
فابتسم الخليفة ، ونجا ابن أبي دؤاد من المؤاخذه وهذا الخبر واضح الدلالة
على أن الواثق كان لا يرتاح لاجزال العطاء للشعراء ، وأنه كان يعد الأخبار التي
تصل إليه عن هذا من المزاعم التي لا تصدق ، أو من الذنوب التي لا تغفر .

فهذه مكاتبه من الخلفاء ، وهي مكانة لا أستطيع أن أرتقي بها إلى ما يسمى
خطوة ، فالخطوة تقوم على الرغبة والإيثار ، وتناهى عن الشفاعة والشفعاء .
ويصحبها القرب ورفع الحجب .

وقد يرتاب في حكمي هذا كثيرون من الأدباء ومؤرخي الأدب ، وليس
بعجيب أن يرتابوا ، بل العجيب ألا يكون هذا الارتياب بالغاً من القوة والعنف
حد النفي والامتناع .

وذلك لأنهم يقرءون في أحدث الكتب ظهوراً لأعلام الأدب ومؤرخيه :
أنه ، اتصل بالخليفة المعتصم ومدحه وحظي عنده . . . ويقرءون كذلك لكبار
المستشرقين ، في دائرة المعارف الإسلامية : أنه ، كان أكثر توفيقاً في
بلاط المعتصم ، ، وأنه ، كافأه على قصائده التي مدحه بها كما اصطحبه في حملته
على عمورية عام ٢٢٣ هـ ، ، وأنه ، نال أيضاً رضا أحمد بن المعتصم وابنه وخلفه
الواثق ، .

وفي هذا قوة تدفع القارىء إلى إنكار ما قلت ، وإلى الإصرار على هذا الإنكار .
ففيه من الوضوح ما يبعث على الاقتناع بما كان للشاعر من حظوة بلغت حد
الاصطحاب في حملة عمورية .

وإني أمام هذا الاقتناع ، وبين هذا الإجماع — مضطر إلى أن أحكم إلى أبي
تمام نفسه ، فكلامه مقطوع للخصومات ، وفيصل لا ترتقي إليه الشبهات . والذي
يشيع في نفس الغبطة أنه لم يقصر في تناول هذه الحظوة في شعره ونثره ، ولم
يعطنا فكرة غامضة وعبارة ملتوية ، بل كان صريحاً في تناولها ، جريئاً في الحكم
على الخلفاء بسببها :

تحدث أبو تمام يوماً فقال : امتدحت المعتصم بسر من رأى بعد فتح عمورية ،
فذكرني ابن أبي دؤاد له ، فقال له : أليس الذي أنشدنا بالمصيصة الأجرش الصوت ؟
قال : يا أمير المؤمنين ، إن معه راوية حسن الانشاد ، فأذن لي ، فأنشده راويتي
مدحى له .

فهذا حديث لأبي تمام يدلنا على كثير :

١ — يدلنا على أن أبا تمام مدح المعتصم ، فزهد فيه ونقمه لجشة في صوته ،
وأن أبا تمام فطن لهذا أو فطن له غيره فأقضى به إليه .

٢ — ويدلنا كذلك على أنه ذهب بعد إلى سر من رأى مصطحباً معه من
يحسن إنشاد شعره أمام الخليفة ، وأن ابن أبي دؤاد بعد أن علم ما أعد من
وسائل النجاح — التمس الاذن له ، فأبدى الخليفة رغبته في عدم سماعه قائلاً :
أليس الذي أنشدنا بالمصيصة الأجرش الصوت ؟

فقال ابن أبي دؤاد . يا أمير المؤمنين ، إن معه راوية حسن الانشاد ، فاذن له . وهذه حقائق ناطقة لا أثر للبس فيها ، دالة أوضح دلالة على أنه لم يكن أثيراً ولا حظياً ، وإنما كان الأجش الصوت المرغوب عن سماعه .
 ويزيد هذا الخبر قوة في الدلالة على ما نريد أنه كان بعد فتح عمورية ، أى بعد تولى المعتصم بأكثر من خمس سنين . ومدة المعتصم في الخلافة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام .
 وأبو تمام يقصد إلى هذه الحادثة وإلى أمثالها دون شك حين يمدح ابن أبي دؤاد بقوله :

لما انتضيتك للخطوب كفتها والسيف لا يكفيك حتى ينتضى
 ما زلت أرقب تحت أفياء المنى يوماً بوجه مثل وجهك أيضاً
 كم محضر لك مرتضى لم تدخر محمودة عند الامام المرتضى
 لولاك عز لقاءه فيما بقى أضعاف ما قد عزنى فيما مضى

وفى البيت الأخير أقوى برهان على أنه كان بالمنزلة التى لا يحسد عليها ، وأنه كان يعز عليه اللقاء . فما بالك بالاصطحاب فى رحلة طويلة كحملة عمورية .
 وقرأ البيت الثالث فهو يدل على أن ابن أبي دؤاد كان لا ينى فى كل مناسبة عن التنويه به ، ولا يفتر عن محاولة إدنائه من الخليفة ، وغمره بالعطايا . ولكنه بقى إلى ما بعد فتح عمورية الأجش الصوت ، المرغوب عن سماعه .
 وما أدراك ما ابن أبي دؤاد ؟ ابن أبي دؤاد هو مستشار المعتصم ، وقاضى المظالم فى عهده ، وهو الرجل الذى أوصى المأمون أخاه المعتصم فى كتاب وصيته بمشاورته وملازمته إذ قال : « وأبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك ؛ أشركه فى المشورة وكل أمرك فانه موضع لذلك منك . »
 فصاحب هذه المنزلة هو الذى أتاح لأبى تمام أن يظفر بما ظفر به من لقاء وعطاء ، ولكنه لم ينجح فى إنالته الحظوة والقرب من الخليفة .
 وقد شغل هذا الأمر الشاعر وورثه الياس ، وجراه على أن يهجم على مكانة الخلافة ويحكم بانصراف الخليفة عن تشجيع الأدب ، وأن يطلب إلى الوزير ابن الزيات أن يعز الأدب بحايته وحمل رايته .

انظر إليه حين يمدح ابن الزيات فيقول :

إن الخليفة قد عزت بدولته دعائم الملك فليعزز بك الأدب
والباحث في موضوعنا لا يتطلب بعد هذا دليلاً ، ولكن الشاعر الذي
أصيب في آماله لا يكف عن اللهج بما يشف عن يأسه وألمه ، استمع إليه وهو
يخاطب أحمد بن الخليفة المعتصم حين استطاع أن يتصل به ، ويحظى بقربه منه ،
وإنشاده شعره بنفسه ، دون وسيط من المنشدين :

هدأت على تامل أحمد همتي وأطاف تقليدي به وقياسي
غلب السرور على همومي بالذي أظهرت من برى ومن إيناسي
عدل المشيب على الشباب ولم يكن من كبرة لكنه من ياسي
فهذا شعر باك يصور مدى يأسه ومدى أنسه بهذا اللقاء ، وهو في سبيل هذا
التصوير يرى أن شيبه ليس دليل كبر السن ، ولكنه من مظاهر اليأس . فهدوء
همته على تامل أحمد ابن الخليفة فيه كل معاني القنوط من حظوة الخليفة .

ولعلني بهذا قد استطعت أو لعل أبا تمام قد استطاع أن يقنع القارئ بأنه
لم ينل حظوة ، ولم يكن أثيراً لدى خليفة من الخلفاء .

وفي هذا ما نستأنس به ، بل ما يشجعنا على أن نقول مطمئين إلى ما نقول :

١ - إن المأمون كان أول الخلفاء العباسيين الذي شغلوا أو انصرفوا عن
الشعر ورعاية الأدب .

٢ - وأن الوزراء والولاة والقواد قد حملوا هذا العبء قبل أن ينتصف
العصر العصر العباسي الأول الذي نسمه بالأزدهار وبلغ الأدب أقصى حدود
الكمال فيه .

عبد الحميد راضي

وَدُّ زَائِفٌ

للشاعر عبد الخالق المسبى

لسان بلا قلب يداجى وينطق
 أفى الود خير وهو بالغش زائف
 لقد هرم الود الذى كان بيننا
 وقد كان كالروض البديع نسيمة
 إذا جئت والصبح قد ضاحك الدجى
 وأرخت عليه الشمس وشى ردائها
 رأيت به ظلا من الأيك سابغا
 فألقى عليه الدهر ميلا يبغيه
 فأصبح ذكرا بعد أن كان مائلا
 لقد كان مغدانا وكان مراحنا
 وكان لنا من قبل مأوى يؤمّه
 فذبّ ديب الخلف، لا عن ملالة
 وما قيمة الود الذى تستبيحه
 سلام عليه مات فى ميعة الصبا
 ولكنه ما زال بالحب باقيا
 يضىء ويخبو كالسرّاب وما به
 كأنى به يبنى من القبر أوبة
 فيا قلب دع ذكر الودّادة جانبا
 وهل نافعى قول جميل منمّق ؟
 إذا لم يكن قلب هنا لك يتحقّق ؟
 فلم يبق فيه بعد ما شاب رونق
 بليل وفيه العود فينان مورق
 وطال الندى فوق الرثبا يترقرق
 وقد كاد منها خشية الهجر يفرق
 ونور الألقى طيب الريح يعبق
 فصوّح بعد الينع والدهر أخرق
 وكل جديد سوف يبلى ويخلق
 نبا كره والجنب بالجنب ملصق
 كلانا ويحدونا إليه التشوق
 ولكن غايات النفوس تفرق
 ما رب إن لم تقض فهو ممزق ؟
 وقد كان بالإخلاص والحب يالق
 كمثل خيالات تطيف وتطرق
 روى لصيد قد كاد بالوجد يشرق
 وهل عائد ما دونه القبر مطبق ؟
 فإن الذى أمّلت لا يتحقق

هوراشيوس

للمؤرخ عبر العزيز عيسى

- ١ -

على أسوار رومة

- ١ - للمؤرخ الانجليزي توماس بابنجتون ماكولي قصة « هوراشيوس » من روائع الادب الروماني القديم يجد فيها القاري مثالية البطولة ، وقد نقلها إلى الانجليزية الكاتب المؤرخ توماس بابنجتون ماكولي في كتابه « أناشيد رومة القديمة » « Lays of Ancient Rome » وقد اطلعنا عليها في المجلد الأول من كتاب « الآداب العالمية » صفحة ٤٢٨ « للدكتور رتشارد جارنت » فآثرنا تلخيصها إلى العربية ، فما أجل أن يسري مثل ذلك الايمان الوطني إلى صميم جيلنا الجديد .
- ٢ - شيوخ رومة وقد رقفوا على الحائط ينظرون إلى ما وراء نهر تير حيث جنود التوسكانيين يقودهم « لارس بورسينا » إلى رومة .
- ٣ - ليس للجنود المغيرين طريق يؤدي بهم إلى رومة إلا قنطرة ضيقة على النهر .

الروماني الأول : يجب أن نضع في الحال خطة تنقذ رومة من هذا العدو الزاحف !

روماني ثان : انظروا ! إن جنودنا تتقهقر !

ثالث : وماذا يستطيع جيشنا الصغير أمام تلك الجموع الهائلة ؟

رابع : لم يبق من طريق للنجاة ، إلا أن يتمكن جيشنا من اجتياز

القنطرة قبل أن يصل التوسكانيون إليها !

الروماني الثالث : يجب أن نعمل في الحال عملاً ، وإلا فقدنا أنفسنا !

الرابع : إنني أقترح أن تسرع جنودنا في عبور القنطرة حالما يصلون

(٨ - صحيفة دار العلوم)

إليها ، وحينئذ نستطيع أن ندمرها ، وهكذا نحول بين العدو وبين ملاحقة جيشنا !

الروماني الأول : قد يبدو ذلك سهلاً ، ولكن من هذا الذي أوتى من الشجاعة ما يجعله يثبت أمام جحافل العدو على الضفة الأخرى للنهر ، حتى يتم هدم القنطرة ؟

الثاني : أيها الرومان ! انظروا ما وراء النهر ! إن العدو قد تغلب ثانية على قواتنا اكل ما يمكن عمله يجب أن يعمل الآن !

الروماني الرابع : هاهو هو راشيوس قادماً . لننتظر ربما استطاع أن يشير علينا !
الثاني : إن هذا اليوم يا هوراشيوس من أيام رومة العvisية ، وإذا لم نضع خطة للنجاة محكمة ، فإن العدو سيكون على أبواب المدينة قبل المساء !

هوراشيوس : لقد تكلمت مع جنودي ، وقررنا ألا نجاة لرومة بغير وسيلة واحدة .

الروماني الثاني : طريقة للنجاة يا هوراشيوس ؟ ماهي ؟

هوراشيوس : هدم القنطرة ، وإزالتها من فوق النهر !

الروماني الثاني : هذا ما كنا نفكر فيه تماماً ، ولكن كيف يتم ذلك إذا لم يثبت بعض جنودنا في نهاية القنطرة ، ليتاجزوا العدو ريثما نزيل القنطرة ؟

هوراشيوس : ثلاثة من الرجال فقط يمكنهم أن يثبتوا في مدخل القنطرة الضيق أمام مائة من جنود العدو !

الروماني الأول : ذلك حق ، ولكنه موت محقق لهم . ثم من لنا بثلاثة لهم من الشجاعة ما يقدرهم على مواجهة العدو في جيوشه الكثيفة ؟

هوراشيوس : إن الموت نهاية كل حي عاجلاً أو آجلاً . ومن للروماني بميته أسعد مما تكون في سبيل رومة ؟ سأكون أول الثلاثة ، وأعتقد أنني واجد رجلين آخرين . من سيقف بجانبني ؟

الروماني الثالث : أحسنت يا هوراشيوس !

هوراشيوس : « لجنوده ، أريد اثنين يقفان بجانبني في نهاية القنطرة .
اثنين يعترضان معي طريق الأعداء حتى تسقط القنطرة في
النهر ! إننا قادمون على قتال عنيف طويل ، وربما كان قتال
استشهاد ، لا نعود بعده لرومة . فمن يخاطر معي ؟
« جنديان يخطوان إلى الأمام »

سبيريس لارتياس : أنا سبيريس لارتياس أنضم إليك .

هوراشيوس : شكراً لك يا سبيريس . إنك لشجاع ، ومحارب قوى !
وتستطيع أن تثبت أمام جموع كثيرة !
تيتس : وأنا تيتس هيرمينيس أنضم إليكما .

هوراشيوس : عظيم جداً ! بجنديين كهذين ، أحدهما عن يساري والآخر
عن يميني لن يخطو العدو على القنطرة قبل قتال عنيف طويل !
الروماني الثاني : أيها الأبطال ! إنه لمستحيل علينا نحن الباقين خلفكم أن نعب
عن مدى الشكر ! إنكم تجودون بأرواحكم في سبيل رومة !
هوراشيوس : ما طلبنا شكراً . إننا نفعل بعض ما للوطن من حق ! إننا نفدى
حرية أطفالنا بدمائنا ! والآن هلم يا سبيريس ، وأنت يا تيتس
لقد خضنا كثيراً من المعارك جنباً إلى جنب ، وإنه لطيب
لي أن نستشهد معاً ! هاهم جنودنا يحتازون القنطرة ، فلنسرع
إلى القيام بواجبنا !

— ٢ —

« شيوخ رومة لا يزالون حيث كانوا على السور الكبير »

الروماني الأول : إنها لحظة صائبة ! انظروا ! لقد اجتازت قواتنا القنطرة !

الثاني : وهاهم الحراس قد فتحوا لهم الأبواب ، ليعتصموا بها !

الثالث : أترون القوات المحتشدة حول القنطرة ؟ إنهم يعملون مجد

وعزم ، لقد أوشكوا على الفراغ من إسقاطها في النهر !
هذا حسن !

الرومانى الأول : الأحسن من ذلك ، هو هوراشيوس وصاحبه ! إنهم يقاتلون
هناك بسيف المستميت !

الـثانى : انظروا كيف يقفون فى وجه العدو كأنهم الأسود
الضواري ! إنهم لا يسمحون للعدو بأن يتقدم خطوة واحدة
على القنطرة !

الرومانى الثالث : يالك من شجاع ياهوراشيوس ! ألا ترون كيف ترتد السهام
عن جانبيه ، وكيف يحمل على الأعداء كالليث ؟ ليس هذا
رجلا فقط . إنه رجل قد صب فى أعصابه عزم أمة ،
وقوة جيش !

هوراشيوس : إن العدو قد تقهر ليفكر فى خطة هجوم جديدة ، لنسترح
إذا قليلا ياتيتس

تيتس : هل رأيت كيف كانوا يضحكون منا أول الأمر ياهوراشيوس ؟
سبيريس : إنهم قادمون هنالك فلنستعد ، ولنهض للملاقاتهم !

تيتس : ما لهم يحذرون هكذا ياسبيريس ؟ إنهم يخافون أن يكونوا
فى متناول سيوفنا !

سبيريس : حبذا هذا الخوف ! إنه جيش جديد يحارب معنا ! إنه يطعنهم
فى قلوبهم كما نطعنهم فى أجسامهم ! انظر يا تيتس إلى الجثث
المضرجة بالدماء أمامنا ؟ لقد خارت قواى ! لن أصبر على
المقاومة إذا هجموا بعنف وقوة بعد الآن ! أأصبت ياتيتس ؟
لماذا تمسك السيف بيدك اليسرى ؟

تيتس : لقد أصيبت يدي اليمنى ، ولكن ذلك غير مهم ياسبيريس ،
إننى أسمع رجالنا ينادون من نهاية القنطرة الأخرى ،
فماذا يقولون ؟

سبيريس : هم يخبروننا بأن القنطرة على وشك السقوط في النهر !
هوراشيوس : إلى الوراء ياتيتس ! وأنت ياسبيريس ! إلى الوراء معاً قبل
أن تسقط القنطرة ، لتبتعدا الآن يا صديقي إلى سابعك !
تيتس : هلم ياسبيريس فهذا وقت النجاة .
سبيريس : نعم هلم ياتيتس ! لنسرع في اجتياز القنطرة قبل سقوطها ! !

٣

« على شاطئ - النهر قرب رومة »

تيتس : [بعد أن نظر إلى الخلف] قف سبيريس ! لقد تركنا
هوراشيوس منفرداً ! لماذا لم يتبعنا في الحال ؟
سبيريس : لن نستطيع أن نفعل له الآن شيئاً بعد أن سقطت القنطرة !
إنه الآن في موقف حرج ! إنه يحتاج إلى مساعدتنا ! انظر
ياتيتس كيف تغلب عليه التوسكانيون ؟
تيتس : انظر ياسبيريس كيف يتلقى مواقع السيوف ؟ انظر هذه
الضربة الأخيرة ؟ لقد نالت من وجهه تماماً ! لا بد أنها قد
ذهبت بأحدى عينيه !
سبيريس : ما أعجب هوراشيوس من محارب شجاع ! إنه لا يزال يقاتل
بعد أن تكسر سيفه !
تيتس : إني أعرف ماسيفعل الآن !
سبيريس : ماذا سيفعل ياتيتس ؟
تيتس : سيظل يدافع عن نفسه حتى تميم فرصة ، فيقفز في النهر !
سبيريس : انظر ! هاهو قد قفز ! حسنا فعلت يا هوراشيوس ! إنه في حالة
خطرة ياتيتس !
تيتس : أنت مخطيء ياسبيريس ! إنه مازال يقاتل ! يقاتل في سيل
حياته ضد الأمواج !

سبيريس : ها هو يسبح إلى الشاطئ ، نحونا ! استمر ياهوراشيوس فهذا هو

سبيل النجاة ! انظر ياتيتس أن الماء يحمله نحونا !

تيتس : هلم ياسبيريس ! هلم نساعده ، فقد صار دانياً من الموت !

٤

« يلتقيان بأنفسهما في النهر لينقذا هوراشيوس »

سبيريس : لو عرفنا أنك مصمم على البقاء وحدك يا هوراشيوس ما تركناك .

هوراشيوس : النجدة يا صديقي ، لقد ذهبت هذه المعركة بنصف بصرى ! ولكن لا بأس فقد أنقذنا رومة اليوم ، وسنعيش لنقاتل من أجلها مرة ثانية !

تيتس : هلم إلى المدينة ياهوراشيوس ! إن الرومان يهتفون باسمك هناك ، وإن شيوخ رومة قد رأوا من فوق الأسوار كل شيء ! إنهم يرغبون في شكرك ، فقد فعلت ما ظنوه مستحيلاً ، وأنقذت رومة !

هوراشيوس : لست خطيباً ياتيتس ولكنني جندي فقط ! خذني إلى مكان أستريح فيه ! وأنت ياسبيريس هل تستطيع أن تضمد جراحى ؟ حاول أن تمنع الدم الذي يُخفى وجهى ، آه إني أشعر بقشعريرة تتمشى في أوصالى ! زملنى ياتيتس بثوبك . لقد أتعبتك يا صديقي ، ولكن هيهات أن أنسى كم حاربتما إلى جانبي في هذا اليوم بشجاعة ستبقى مضرب الأمثال ، على تعاقب الأجيال !

عبد العزيز عتيق

شيخنا البطراوي بك

للمستاذ علي المنري

« تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فائز برتبة
البيكوية على الاستاذ الجليل محمد البطراوي بك »

عزّ القلب من فرط السرور خُفوق
صديق وأستاذي تبوأ رتبة
تَرَفَّ على عِطْفِيهِ حُسْنًا وبهجة
أنت نحوه تسعى اشتياقًا، فن رأى
لئن زينتَه - وهي زين لأهلها -
سقى الله أيامًا سَقِينًا وداده
له نحن أبناء كرام، يحوِّطهم
ولولاه ما جَلَّيتُ سَبَقًا إلى العلاء
وما كان مثلي للجميل بنا كر
رضيتُ عن الدنيا، وقد كنت ساخطًا
فإن لم أجد (خَيْلاً ومالاً) أسوقه
أحقُّ بأن يُطْرَى بِنِي المجد شاعري
وما كل شعرٍ للمسامع حَلِيَّةٌ
زَفَقناه كالريحان في رونق الضحا

وقلبي خَلِيقٌ بالسرور حَقِيق
من المجد، بالشيخ الوقور تَلِيق
كما رفَّ في صَحْنِ الحدود شقيق
مشوقًا أتى يسعى إليه مشوق !
لقد زانها سامي الخلال صدوق
بهنَّ رَحِيقًا، والودادُ رَحِيق
أبٌ منه سَمَحُ الأصغرَيْنِ رَفِيق
ولا كنتُ أَصْبُو نحوها وأتوق
ألا إن نكرانَ الجميل عُقُوق
على كبدي منها لظي وحروق
فشعري في هام الكريم خَلُوق
له سببٌ بالماجدين وثيق
ولا كل زهرٍ في العيون أنيق
له نَصْرَةٌ أَخَاذَةٌ وعِيق

شأوتُ به من راح يعدو مشمراً - على هينة - والبُحترى سَبوق.
ولولا الذي ورثته من مفاخرٍ قنعت بها، قامت لشعري سوق.

أبناء «داري» بارك الله فيكمو - فما منكمو إلا أغرُّ عتيق.
إذا أظلمت أنسابُ قوم، تألقت فروع لكم في (يعرب) وعروق.
وهبت لكم شعري ونثري، وإنني - على الرغم مما نابني - لصديق.
إذا حميت هيجاء كانت يراعتي - سهاماً، لها في الشائين فتوق.
فلا تنكوا يوم الفخار فإنما - «فرزدقكم» يوم الفخار عريق.
ولا تضمروا بأساً وفي اليأس راحة - لعل الجدودَ النائمات تُفريق.
فإن أغمضت عنا الحظوظ عيونها - فقد يُطرح الصمصام وهو ذليق.
وقد تقعد الجرد المذاكي عن المدى - على أنها عند السباق بُروق.
وقد تحجب الأقمار - وهي سواطع - سحائب تغتال السنن وتعوق.
أشدنا بفخرٍ يشهد الناس أنه - أصيل، وبعض الفاخرين لصيق.

رعى الله «فاروقاً» ولا زال عوده - تمرُّ به الأيام وهو وريق.
ولا زال مرموق الجلالة والسنن - كما اقتدَّ عن وجه الصباح شروق.
رعى العلم - في «شيخ» به العلم يزدهي - وأخلاقه مسكٌ أحمٌ فتيق.

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة تمام سنة على وفاته

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للمستاذ محمد سعيد العربي

دعت مصلحة الاذاعة الفلسطينية بالقدس الأستاذ محمد
سعيد الريان ابديع حديثاً عن فقيه العربية الكبير المرحوم
مصطفى صادق الرافعي بمناسبة تمام سنة على وفاته في مساء الاثنين
٩ مايو سنة ١٩٣٨ ؛ وآثرته بهذه الدعوة لما كان بينه وبين
المرحوم الرافعي من صلة هياتمه لدراسته ورواية تاريخه والتحدث
عن أدبه وفنه ومذهبه

والكلمة التالية هي نص الحديث الذي أذاعه من محطة
القدس تلبية لهذه الدعوة .

سيداتي ، أنسائي ، سادتي
سلام الله عليكم أهل هذه الأرض الطيبة ... ومعدرة ، وشكراً ...
لكأني بكم ترهفون السمع لتسمعوا ما يمكن أن أحدثكم به عن الرافعي في
ذكره الأولي ، وما أنا بمستطيع في هذه الفترة القصيرة من الزمن أن أبلغ
ما أريد وتريدون من الحديث عن الرافعي .
لم يكن الرافعي أديباً كبعض من نقرأ لهم من أدباء الصحافة ، ولكنه كان
علماً من أعلام الأدب ، وإماماً من أئمة الدين ، وبرهاناً من براهين العربية تجالده
به حين يعوزها البرهان .

ولقد يكون من فضول القول أن أتحدث إليكم عن أدب الرافعي وآثاره
الأدبية بين أيديكم وتحت أعينكم ؛ وإنكم لتعرفون أدبه وتعرفونه بأدبه . ولكني

قد صحبت الرافعي عمراً من عمري ، فعرفته أكثر مما يعرفه الناس ، فليكن حديثي الليلة عن الرافعي الذي عرفته ...

لقد سمعت اسم الرافعي لأول مرة منذ بضع عشرة سنة ، وكنت يومئذ غلاماً حدثاً ، لا أكاد أفهم ما يلقي إليّ ، سمعت به وأنا طالب في الصفوف الأولى ، فسمعت اسماً له جرس ورنين ، وله نشيد تتجاوب أصداؤه في جوانب نفسي ، فحبب إليّ من ذلك اليوم أن ألقاه ...

ورأيت لأول مرة بعد ذلك بأشهر ، فرأيت رجلاً كبعض من أعرف من الناس : له ما لهم مما يتميز به الانسان . وقال لي صاحبي : « هذا هو الرافعي ! » وكان جالساً وقتئذ في قهوة على الطريق ، وبين يديه صحف يقرأها ، وأمامه فنجانة قهوة . فوقفت برهة أنظر إلى الشخص المائل أمامي ، لا أكاد أصدق أن هذا الشخص الذي بعيني هو الشخص الذي في نفسي ... وخطوت إليه خطوة فألقيت إليه السلام أجعله زلفي إليه ؛ فما رفع إليّ عينيه ولا ردّ التحية ... وصغرت نفسي في عيني فمضيت عنه منكسراً ذليلاً وفي النفس غيظ وألم ؛ ورائت غشاوة على صورته في قلبي ...

ومضت أيام ، ولقيته بعدها في المسجد خارجاً من صلاة الجمعة وعلى الباب زحام ؛ فزحمته بكتفي حتى سبقته إلى الباب وخلفته ورائي لا يخلص إلى الطريق ، واستراحت نفسي لآتي قد انتقمتم !

وقال لي رفيقي : « وى ! أتعرف من ذلك الذي أخذت عليه الطريق عامداً ؟ » قلت : « صه ، لا يسمعك فيسوءني جوابه ! » قال : « لا عليك ! إن في أذنيه وقرأ فلا يسمع ! »

وتبدلت في نفسي صورة بصورة ، واحتسني ألم ليحل في نفسي من بعده ألم آخر ... وعرفت وقتئذ لماذا لم يرفع عينيه إليّ ولم يرد التحية ...

ولقيته بعد ذلك مرات كثيرة ، في الطريق ، وفي القهوة ، وفي السبيل ؛ وقرأت له مرات أكثر ، في الكتب ، وفي الصحف ، وفي المجلات ؛ وعرفته ، ولم أزل كل يوم أزداد عرفاناً به ، ولكنني لم أعرفه العرفان الحق إلا بعد هذه الحادثة

بعض سنين ... حين جلست اليه لأول مرة في دار كتبه من داره ، عرفته على حقيقته وفطرة نفسه ، فكأني لم أعرفه قبل ذلك اليوم ... وما فارقه من بعد حتى فرق بيننا الموت . يرحمه الله !

إني لأحس حين أذكره الساعة كأني لست وحدي ، وكأن روحاً حية تُطيف بي وترف حولي بجناحين من نور ، وكأن صوتاً ندياً رفيع النبرات يتحدث إلى من وراء الغيب حديثاً أعرف جرسه ونغمته ، وكأن عينين تطلان على من عالم غير منظور لنا مراني أمراً وتلهمني الفكر والبيان ، ولكنني لأرى ، ولكنني لأسمع ، ولكنني هنا وحدي ، تتغشاني الذكرى فتخيل إلى ما ليس في دنياي . هيات هيات لو هم الأمانى !

لقد كان هنا صوت يتجاوب صداه بين أقطار العربية . لقد كان هنا إنسان ملاً فراغاً من الزمان . لقد كان هنا قلم يصر صريراً فيه رنات المثاني ، وفيه أنات الوجع ، وفيه همسات الأمانى ، وفيه صرخات الفزع ، وفيه نشيج البكاء ، وفيه موسيقى الفرح ... خفت الصوت ، ومات الإنسان ، وتحطم القلم ؛ ولكن قلب الشاعر ما زال حياً ينبض ، لأن قلب الشاعر أقوى من الفناء .

في كل يوم يموت أديب من أدباء العربية وينشأ أديب ، فآين ، آين الأديب الذي ينتدب بعد الرافعي ليقف لمكمل من يحاول التقحم على قدس القرآن ؟ آين ... آين الأديب الذي يقف قلبه وبيانه للدفاع عن العرب والعربية والإسلام ؟ آين ... آين الكاتب الأملح الذي يصور طهر الحب ، وسمو الإنسانية ، وآلام البشرية ، وأفراح الحياة ؛ فتنبثق نورا في كل قلب ، وتتفجر شعورا في كل وجدان ؟ آين خليفة الرافعي الذي يقوم على سداد هذا الثغر المعطل ؟ آين حامل اللواء ، وآين صاحب القلم ؟

لقد كان الرافعي عصراً بتمامه من عصور الأدب ، وجيلاً بناسه في تاريخ العرب ، وفصلاً بعنوانه في مجد الإسلام .

كانت الدنيا تموج من حوله بأناسيها وحادثها ، وتضطرب حواليه في أمانيتها

ونوازيها ، وتصطبغ في محيطه بشهواتها ونوازعها ؛ وهو وحده يعيش من هذا المحيط المضطرب المائج المصطبغ في دنيا وحده ، لا يسمع إلا همسات روحه ، ولا يحس إلا خلجات قلبه ، ولا ينظر إلا الهدف الذي يسعى إليه . وهياًه القدر بوسائله العجيبة لهذه الوحدة العقلية منذ صباه حين سلبه السمع ، فعاش حياته بعيداً عن دنيا الناس ، ومضى في طريقه كما يمضي عابر السبيل : لا يلتقي بالله إلى شيء مما حواله أو يبلغ إلى غايته . . .

لم يكن الرافعي ليعرف شيئاً في السياسة ولا له رأى فيها ؛ ولكن له هدفاً عاش يسعى جاهداً لتحقيقه : هو أن يبعث الحية الإسلامية في نفس كل مسلم ، ويوقظ النخوة العربية في قلب كل عربي ؛ فكان بذلك رسول العروبة والإسلام إلى كل مسلم وكل عربي ، فلا جرم كان بذلك أحب كتاب العربية إلى كل مسلم وكل عربي .

حياته الأدبية كلها تدور حول هذا المحور ، ومنشأته الأدبية كلها يسعى بها إلى هذا الهدف ، ومعاركه الطاحنة كلها تنشب في هذا المعترك ، وما عادى عدواً قط من أدباء العربية إلا للدين أو اللغة أو القرآن ، وما اتخذ صديقاً من رجال الأدب أو السياسة إلا للدين أو اللغة أو القرآن .

لقد حاول كثير من مؤرخي الأدب أن يتحدثوا عن الرافعي في حياته ، فقالوا شاعر . وقالوا كاتب . وقالوا أديب . وقالوا عالم . وقالوا مؤرخ . ولكنهم لم يقولوا الكلمة التي كان ينبغي أن يقال : لقد كان شاعراً ، وكاتباً ، وأديباً ، وعالمًا ، ومؤرخاً ؛ ولكنه بكل أولئك ، وبغير أولئك ، كان شيئاً غير الشاعر والكاتب والأديب ، وغير العالم والمؤرخ ، كان هبة الله إلى الأمة العربية المسائمة في هذا الزمان ، لينبها إلى حقائق وجودها ، وليردّها إلى مقوماتها ، وليشخص لها شخصيتها التي تعيش باسمها ولا تعيش فيها ، والتي تعتز بها ولا تعمل لها

وكان يشعر أنه وحده في الميدان والجميع إلبّ عليه ، فعاش حياته كلها يصارع ويناضل ، حتى خر صريعاً وفي يده الراية ، لم يتركها حتى انتزعها الموت من يده !

كثير ما قال عنه أعداؤه وغير أعدائه في حياته : إنه حديد اللسان . إنه لدود الخصام . إنه لا يرعى اعتباراً ، ما تقوم به الصلات بين أهل الأدب حين ينزل إلى معترك من معارك النقد ، صدقوا . ولكن ... أرايت معرفة على البدوى الناصر لعرضه أن يسفك الدم ؟ إنه هو هو ؛ فمن ذلك كانت شدته وصرامته ولدده في الخصام : في سبيل القرآن ، ومن أجل العروبة ، ولكرامة الاسلام . كان ذلك عرضه الذي يحرص عليه أن ينتهك ، فمن ثم كانت خصوماته الأدبية كلها فيها معنى الدم الدين ، واللغة ، والقرآن ، أو العروبة والاسلام : ذلك كان مذهبه في الأدب وله كان جهاده ، حتى في الحب — وللرافعي حب مشهور — وحتى فيما أنشأ من رسائل الحب ، لم يكن الرافعي يعتبر إلا مذهبه والهدف الذي يسعى إليه : للدين وللغة ، وللقرآن ...

من شاء فليقرأ كتبه الثلاثة في فلسفة الجمال والحب ، ليرى فيها كيف تسمو روح العاشق على شهوات البشرية حتى تتصل بخالقها الأعلى ، ثم ليرى العرية أسلوباً جديداً فيه عمق الفن ودقة التعبير ووضوح الأداء حتى في الترجمة عن أعمق ما تجيش به خفايا النفس الانسانية

ولأدب الرافعي ميزة ليست لكثير من أدباء الجيل ، فهو أدب عليه طابع الخلود وتلك آداب إلى زوال : هذا أدبه بين أيدينا وتحت أعيننا ، ما تزال تدفعنا إليه دوافع من أنفسنا في فترات متقاربة أو متباعدة ، لنعيد قراءته ونتملى ما فيه من جمال وصدق وقوة . وذلك أدب الأدباء ، ما يكاد القارئ ينتهي منه إلى ما يريد حتى ينساه فلا يعود إليه ولا يذكره ، على ما فيه من لذة ومتاع !

لم يكن الرافعي يكتب تلك الكتابة الصحافية السوقية التي تلتهمس للهو

وإزجاء الفراغ، ولكنه كان يكتب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة، وينشئ أدباً يسمو بضمير الأمة، ويشرع طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد وسعادة الأبدية ومجد التاريخ.

الرافعي! يرحمه الله! لقد عاش في خدمة العربية سبعاً وثلاثين سنة من عمره القصير، وصَلَّ بها حاضرَها المائل بماضيها البعيد، فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون، ولكنها على الحقيقة شطر من عمر الزمان، وباب من الأدب، وفصل في تاريخ الإسلام.

لقد عاش غريباً ومات غريباً، فكأنما كان رجلاً من التاريخ بُعث في غير زمانه، ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجارب الأجيال، يذكر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد، ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلغ رسالته. لقد خَفَّتْ الصوت، ولكنه خلف صداه في أذن كل عربي، وفي قلب كل مسلم، يدعوه إلى الجهاد لمجد العرب ولعز الإسلام.

محمد سعيد العربي

بين القط والفار

رواية تمثيلية يقوم بأدوارها التلاميذ

المستأثر عبد العزيز محمد خليل

هل من سخيٍّ سعيدٍ يرثي إلى سوءٍ حالٍ
بفضلةٍ من تريد أو كسرةٍ لفيالي ؟

القط بفت كئيباً
ويقول

عجزت عن كسب قوتي وأوهنتني الليالي
وصرت كالمنكبوت ضعفاً ورقيةً حالٍ

أهلاً بشيخٍ ضعيفٍ على عصاه يسيرُ
وذى عيالٍ كفيفٍ ممسكاً به يستجيرُ

الفار يرد عليه
في جهره

دفعني وشأني فإني لا أستطيعُ المزاحاً
من كان في مثل سني وكبرتي لا يلاحى !!

القط

لا ، لا ، فإني جوادٌ أحنو على البائسين
في البيت ماءً وزادُ أعطيهما المسكيناً

الفار

الفار مع أمه أماء ، أين الدسم ؟ وأين بيتُ الدقيق ؟
فذاك قطُّ هريم ! أفيئته في الطريق

الام تنصح ابنها يا درِصُ ، دَعَهُ وحاذره ضعفَ المدوِّ اللثيمِ

فَإِنَّ ذَا الْقَطِّ غَادِرٌ فِي ثَوْبِ شَيْخٍ سَقِيمٍ

الفاروامة بتناقشان غَدَرٌ لِمَاذَا وَخَبٌ ؟ طبعٌ له من قديمٍ

هَذَا ادَّعَاهُ وَكَذِبُ اسْمِعْ عِظَاتِ الْحَكِيمِ

الفار للقط إني أُوَاسِي الضَّعِيفَا مَا بَالُ أُمِّي تَحْوُلُ

يَا قِطُّ خُذْ ذَا رَغِيفَا وَذَاكَ أُرْزُ وَفُولُ

القط للفار نُوِّ تَعَالِ إِلَيَّا فَإِنَّنِي لَا أُطِيقُ

قُرْبَهُ مِنِّي ، هَيَّا قَدْ أَجْهَدْتَنِي الطَّرِيقُ

القط يفترسه نُوِّ ، نَوُو ، نَوُو دِرِصْ يَحِبُّ الْعِنَادَا

نُوِّ ، نَوُو ، نَوُو بِالْمَكْرِ نِلْتُ الْمُرَادَا

الام تكي ابنها يَا نُورَ عَيْنٍ بَكَتْكََا وَيَا سُوءَ يَدَاءِ قَلْبِي !!

خَالَفْتَ أَمَّا حَبَّتْكََا نُصْحَ الشَّفِيقِ الْحَبِّ

الام تطلب الطبيب مَنْ لِي ؟ يُنَادِي الطَّيِّبَا أَنَا لَهَا . أَنَا وَخَدِي

إِبْنِي ! ضَنَّاى الْحَيِّبَا يَا طَوَلَ وَجَدِي وَسُهْدِي

الطبيب والام مِمَّ الشَّكَاءُ ؟ صَرِيعٌ جَنَى عَلَيْهِ عِنَادُهُ

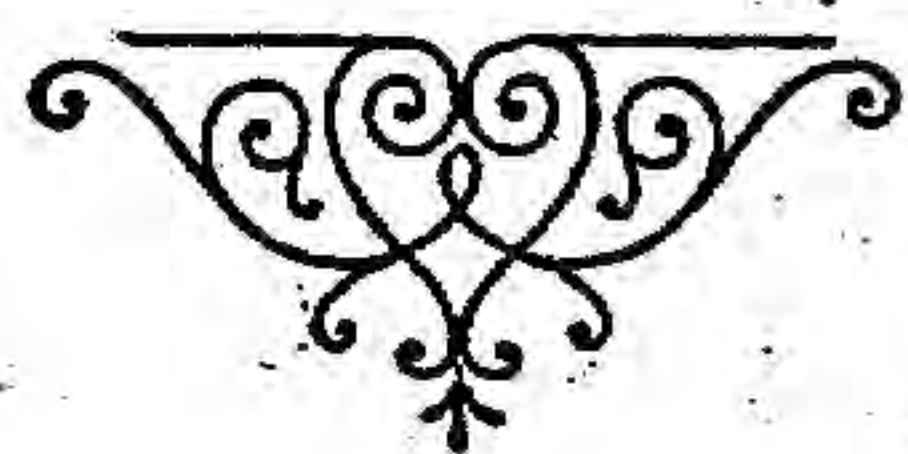
رَبَّاهُ !! جُرْحٌ فَظِيعٌ يُخْشَى عَلَيْهِ فَسَادُهُ

الاولاد جميعا يكون هذا أخوكم جريحا حياته في هبوط
أمسى عليلاً طريقاً بين الرجا والقنوط

الحكمة بقولها
طفلان
من يفعل الخير فيما لا يستحق يُضر
ومن يخالف حكماً في رأيه لا يسر

الاولاد جبا
هذي عظام نراها وعبرة مستفاده
وحكمة من وعاهها نجا ونال السعادة

الحلقة
عبد العزيز محمد خليل



أحمد الاسكندري بك

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته

١٨٧٥ - ١٩٣٨

بقلم تلميذه وصهره

الأستاذ محمد أحمد براني

اتصل بي كثير من الأدباء الذين يقدرون المغفور له الأستاذ أحمد الاسكندري قدره، ويقرون له بالفضل (وبخاصة أدباء لبنان وفلسطين وغيرهما من الأقطار الشقيقة)، وطلبوا إلي أن أقدم لهم كلمة في تاريخ حياته، وموجزا عن آثاره العلمية والأدبية، ليكون نواة لما يقال عنه في حفلة تأبين يقيمها أدباء بيروت، ولما يلقي من محطة الاذاعة في فلسطين، ولكن شدة وقع المصيبة كاد يصرفني عن كل شيء حتى هذا، إلا أنني غالبت ذلك الضيق الذي أحس مرارته في نفسي، واستطعت أن أكتب ما أرجو أن يكون فيه بعض الغناء إلى حين، حتى إذا أمكنتني الفرصة من وضع يدي على آثاره الأدبية المخطوطة، جلوتها للأدباء، وفاء له، واعترافاً بفضله.

نشأته:

صدر العلماء، وغرة الأدباء، وباقعة عصره - أحمد بن علي عمر الاسكندري :- ولد في مدينة الإسكندرية في ٢٦ فبراير سنة ١٨٧٥ تعهده أبوه بالتعليم، وبعد أن حفظ القرآن وأجاده - التحق بالمعهد الديني بالإسكندرية، المعروف بجامعة الشيخ، وأكب على التحصيل، ولكن مناهج التدريس لم تشبعه، فكان يقرأ

الكتب التي تقع تحت يده ، ومنها قصص عنتره ، وأبي زيد ، وسيف بن ذي يزن
وآلف ليلة وليلة ، ونحوها ، فأولع بالأدب ، وقرض الشعر يافعا ، وعرفه بعض
أبناء الأعيان المتأدين ، ولكن الألق العلى في الإسكندرية أصبح محدودا أمانة ،
فرغب في النزوح إلى القاهرة حيث الألق أوسع ، ولكن والده لم يوافق ، إلا
أن الهمة البعيدة الموهوبة ، تفك القيود ، وتحطم الأغلال ، وتحتال لتفهر كل
صعب ، فصمم الغلام أحمد الإسكندري على الرحلة إلى القاهرة ، وجمع كتبه
وحزمها ، وخرج في غفلة من أهل الدار ، وليس في جيبه إلا دراهمات كان قد
أدخرها ، وصحبه في سفره اثنان لا أذكر اسميهما ، أما أحدهما فإنه تخلف في حدر
الإسكندرية ، وأما الآخر فإنه صحب أحمد وركبا مركبا يسير في ترعة المحمودية
حتى وصلا إلى مدينة كفر الزيات . وهنا نقد زادهما ودرهماتهما ، فعاد الرفيق
إلى الإسكندرية ، أما هو فان عزمه حديد لا يفل . فقد حمل كتبه على ظهره ،
ومشى على قدميه من مدينة كفر الزيات حتى وصل إلى القاهرة ، وهو حدث ،
والتحق بالأزهر ، ليتلقى علوم اللغة والدين ، وفي سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة
دار العلوم ، وكان أصغر زملائه سنا ، وأنهم ذكرا ، وأوسعهم معرفة ، وكان
من عادة المدرسة حينئذ ، أن تعقد في أول كل سنة دراسية اختبارا عاما لطلبة
المدرسة ، في كتب تعيينها لهم ، ثم في المعلومات العامة ، فكان الإسكندري في
كل عام فارس الخلية الذي لا يدرك ، فتخصه المدرسة بجوائزها .

وكان أيام الطالب مبرزاً في مادة الانشاء ، بديع الصنعة ، مليح الصيغة ،
كتب أول أمره على الطريقة الشائعة إذ ذاك ، وهي طريقة السجع ، وله موضوعات
كانت موضع إعجاب أساتذة الانشاء في عصره ، فأطروها ونشروها لمسوية
إليه في كتب لهم ، ولعل من هؤلاء الشيخ مفتاحاً — إن لم تكن الذاكرة قد
خانتني — فإنه نشر له موضوعاً في وصف قطرة قصر النيل (الخديو إسماعيل
الآن) ، في كتاب له .

تخرج في دار العلوم سنة ١٩٠٨ ، واشتغل بالتدريس في المدارس الأميرية

ثم كان ناظراً لمدرسة المعلمين في الفيوم فالمنصورة ، وفي هذه الأثناء ظل على نشاطه الكرى ، فآخذ من محاسن الآداب بأوفر حظ .

في دار العلوم :

في سنة ١٩٠٧ انتقل إلى دار العلوم لتدريس مادتي الانشاء والآداب العربي وظل يزاوِل ذلك العمل بتلك المدرسة زهاء سبعة وعشرين عاماً ، ألف في أثناءها كتاباً عن الأدب العربي في العصر العباسي ، أجمع الأدباء على أنه كان المعلم الذي استبقى منه جميع من بحثوا في تاريخ الأدب من بعده — ووضع لطلبته مذكرات في العصور الأخرى ، كانت وما تزال عدة الطلبة ، يجدون فيها طلبتهم فيستعينون بها على تهئية أنفسهم لأن يكونوا أدباء باحثين ، لما تحتويه من الحقائق العلمية والفنية ، الخالية من الزخرفة والتهويل ، ولأنها ترسم لهم طريق البحث في أحدث صورة .

وكان منهج تاريخ الأدب في دار العلوم ، يحتوي فوق النظريات العامة تراجم كثيرة لعدد كثير من الكتاب والشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم ؛ فكانوا يضطرون إلى وضع مختصرات تشبه المتن ، وهذا لا يعلم الطلبة ، ولا يرى فيهم ملكة البحث ، فاقترح — رحمه الله — أن يكتبي بدراسة بضع تراجم بحيث يدرس المترجم دراسة تفصيلية تحليلية وافية ، يرى فيها الطلاب نبراساً يهتدون به إذا حاولوا مزاولة البحث ، أو تصدوا لاستقصاء أي عمل علمي ، وحمل هو هذا العبء بادئاً ونهض به ؛ وكان من حسن حظي أن كنت من أول من تلبذوا عليه حين زاول هذا العمل ، فاستفدنا منه أجل فائدة ، وهو أول من اقترح تدريس فقه اللغة في مدرسة دار العلوم ، وكان غير معروف من قبل في المدارس المصرية . وتقدم لعمل المنهج ، وحمل عبء تدريسه ، فقسمه قسمين : قسم فلسفي نظري يتعلق بنشأة اللغات ، والاشتقاق ، والنحت ، واختلاف اللهجات ، وغير ذلك ؛ وقسم نظري ، يتعلق بوضع الألفاظ اللغوية البسميات ، وكان مجدداً في ذلك ، فوققه الله كل التوفيق ، وجاء من بعده فاهتدوا بهديه ، وساروا في نهجه .

وفي سنة ١٩٢٢ عرض عليه ، وظف كبير كان بوزارة المعارف أن يزج بنفسه في المعترك السياسي ، وأن يحرر مقالات ينشرها في الصحف اليومية ، يؤيد بها حزبا معينا ، فأبت عليه نفسه أن يفعل ، محتجا بأن العلماء أحرى بهم ألا يكونوا ساسة ، وأن ما يتطلبه العلم من الأخلاق غير ما تتطلبه السياسة . وجميع من تخرجوا في دار العلوم من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٣٤ . تلمذوا عليه ما عدا فرقتين اثنتين .

في الجامعة :

وفي سنة ١٩٢٣ اختير أستاذا للأدب العربي بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، فاضطلع بذلك العمل . على أكمل وجه وأتمه ، فأحبه تلاميذه ، وأقبلوا عليه ، وأفادوا منه .

في المكتب الفني :

وفي سنة ١٩٣٥ كتب إليه وزير المعارف إذ ذاك ، خطابا يخبره فيه أنه يريد أن يتفخ بعلمه الواسع ، وتجاربه الطويلة في المكتب الفني في وزارة المعارف ، فكان فيه عضوا عاملا ، وكانت له مشاركة تامة في وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، وفي مراجعة الكتب العربية لهذه المدارس .

في المجمع اللغوي :

عند ما أنشئ المجمع اللغوي الملكي في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وقع عليه الاختيار ليكون عضوا من أعضائه ، وإن من يراجع محاضر جلسات المجمع في سنواته الخمس ، يجد أنه كان المحور الذي تدور حوله المقترحات والمناقشات فكان بحق كما وصفه بعض العارفين « منخ المجمع » ، ولما تكونت اللجان الفرعية ساهم في أكثرها ، فكان عضوا في لجنة الرياضيات ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ، ولجنة علوم الحياة والطب ، ولجنة المجلة ، ولجنة خزائن الكتب ، ولجنة الميزانية ، ولجنة الأصول العامة ، فكان عضوا في سبع لجان من إحدى عشرة لجنة .

تعصبه للغة العربية :

كان يحب اللغة العربية ويتعصب لها تعصباً جعله يصف من يتهاون في أمر من أمورها بالزندقة والإلحاد، وكان يعتبر التساهل وفتح الباب للغات الأجنبية، لغزو اللغة العربية، جريمة شنيعة، ومن يرجع إلى محاضر جلسات السنة الأولى للمجمع اللغوي - يجد أنه جاهد جهاداً شديداً حتى جعل المجمع يوافق على عدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة قصوى، وكان يعجب من القوم الذين يعيبون على المجمع استعمال ألفاظ غريبة لمسميات جديدة، لأنه كان يرى أن هذه الألفاظ وإن بدت غريبة الآن فإنها بالاستعمال والمران تسهل على السمع وتجرى على اللسان، وهي أصون للغة من الدخيل، وله في مسألة التعريب مواقف مشهودة وقفها في نادي دار العلوم القديم الذي كان يرأسه المرحوم عاطف بركات باشا، وفي المجمعين اللغويين الأهلين القديمين اللذين رأسهما المغفور له العلامة الشيخ سليم البشري ولطفى السيد باشا، ومبدؤه هذا كان يذنه في تلاميذه، ويحضهم على الاستمسك به. حتى لتجد جهرتهم إن لم يكن كلهم من رأيه ومبدئه.

مؤلفاته :

وأول كتبه كتاب تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ثم ألف كتاباً عن اللهجات العامة، قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩١١، ورأيته عنده مخطوطاً ولم يقع نظري عليه منذ سنتين. ثم ألف كتاباً للطالبة للمدارس الثانوية في عدة أجزاء، وسماه دزهوة القاري، طبع منه جزءين نفدت منهما طبعات، قرره وزارة المعارف سنة ١٩٣٤، ولكن أموراً شكلية تتعاق بشروط قائمة بينه وبين (مكملان) حالت دون التنفيذ.

وألف كتاباً عاماً في الأدب العربي في جميع عصوره، يقع في بضعة آلاف صفحة، وكان في نيته أن يطبعه، واشتغل في السنة الأخيرة من حياته بوضع مقدمة له، وصفها هو بأنها : تقع من تاريخ الأدب موقع مقدمة ابن خلدون

من التاريخ العام ؛ وأعد الـدة لذلك ، ولكن عاجلته المنية ، فاقتطعتة دون
الأمنية .

وله بعد ذلك مؤلفات في فقه اللغة كان يضعها لتلاميذه ، لكنه لم يجعلها
كتاباً عاماً لاعتقاده أن هذا من شؤون الخواص . واشترك مع غيره في وضع
كتب مدرسية في التاريخ العام وتاريخ الأدب والنصوص الأدبية أكثرها
يـدرس اليوم وليس المقام هنا مقام البحث في هذه الكتب ، ودراسها ، ولكنه
مجرد سرد موجز لما عمله .

أخلاقه وصفاته وعلمه :

كان هيناً ، ليناً ، صريحاً ، ألياً ، عذب الحديث ، بارع الجد ، حلو الفكاهة
سريع الخاطر ، حاضر التـكـتة ، ظريف التفصيل والجملة ، مال إلى العزلة ، فكان
يقضي في بيته أياماً لا يبرجه ، وكان كثير القراءة ، تمر به أيام يقرأ فيها خمس
عشرة ساعة أو أكثر في اليوم ، وكان سريع التعليق ، يقتني مكتبة عظيمة ، وليس
فيها كتاب لم يقرأه ولم يعلق عليه .

وكان أهم ما يعنى به في قراءته بعد أن استوعب الكتب القديمة مطبوعة
وخطية — هو الكتب المترجمة ، وكان أول ما يقرأ في الصحف ، برقيات الخارجية
أما معلوماته العامة فواسعة المدى ، فهو سياسي مع الساسة ، وأثرى مع علماء
الآثار ، ومصور مع علماء التصوير ، واجتماعي مع رجال الاجتماع ، وهو كذلك
رياضي وطبيعي وكيميائي ومؤرخ ، وكانت له في كل هذه العلوم مشاركة تامة
تدل على استبحاره ، والموضوعات التي عالجها في كتابه نزهة القارىء ، والكلمات
التي وضعها في مجلة المجمع ، ورسائله الأخيرة التي قدمها للمؤتمر الطبي العربي
ببيـغداد — كل هذا يشهد بأنه كان ذا نشاط جم ، وعقل جبار .

ومجالسه مع أصدقائه تشهد بما كان له بينهم من جليل القدر ، وعظيم الأثر
حدثني أحد الفضلاء أنه شكأ إليه يوماً تـخبط الكتب الانجليزية واضطرابها في
شرح نظرية دارون ، وأنه تعب كثيراً في التقصي والبحث إلا أنها لم تصر جليلة
في ذهنه كما يجب ، فأفاض الشيخ في شرح هذه النظرية ببيانه المعروف عنه ،

وتوضيحه وتذليله وتصويره للحقائق في أيبر صورها ، حتى ترك صاحبه ومن كانوا معه يقولون : كأن دارون لم يفض بحقيقة نظريته إلا له ، فاختصه الله بالقدره على تفهيمنا .

وحدث صديق له قال : صحبته وبعض خلاصاته يوماً إلى دار الخيالة ، وما كدنا نصل إليها حتى أبدى أحدنا غرابه بما وصل إليه العلم من عرض الصور الصغيرة وتكبيرها ، ثم تسجيل الصوت ، فما كاد يسمع منه ذلك حتى انطلق يشرح لهم نظريات عن فن التصوير والعدسات وأنواعها وكيفية استعمالها ، ثم عن التقاط الأصوات في (الاستوديوهات) وما يعانیه الممثلون والممثلات . والتف حوله جمع من الناس ، وأقبلوا عليه بمجامعهم ، يستمعون منه ، معجبين به . بل ود بعضهم لو أبطل صاحب الخيالة خيالاته ليم هو حديثه . من ذلك تعلم أنه تبوأ مكانه بمجدارة بين علماء عصره ، وكان ركنا عظيما تعتمد عليه وزارة المعارف والمجمع اللغوي والهيئات العلمية والأدبية .

وكان إذا أراد أن يعالج موضوعاً عاجله غيره من المحدثين ، لا يطلع على ما كتبه ذلك الغير ، إلا بعد أن يكتب ، وكان في كبره لا يهاجم من يخطئون كما كان يفعل أيام شبابه ، ولكنه كان يرد عليهم في أثناء بحثه من غير إشارة اليهم . ومن غير أن يمسه من قرب أو من بعد .

وكان موضع الثقة من كثير من العلماء الأعلام ، يرأسونه ويستفتونه في كثير من المسائل التي يشتبه عليهم الأمر فيها ، أو لا يهتدون إلى مصادرها . ومن هؤلاء الفضلاء الأب أنسطاس ماري الكرملی ؛ فإن رسالاته لم تنقطع عنه حتى في أيام مرضه الأخير ، وكان الأب على جلاله قدره يعترف له بالفضل والاستاذية ، كما كان يعترف غيره . كتب إليه يوماً يقول : « . . . جاء في كتابك وفيه من سبحات النور ما جعلني أدعوا الله أن يزيدك فضلاً وعلماً للمستجيرين بك . واللاتذنين إلى بحر عرفانك الجم ، ؛ ولو كان في الاسلام في عصرنا هذا عشرة مثلك في مصر . لا تنقل الحنفاء جميعهم إلى هذه الديار المباركة للاقتباس من فيض نورك المتدفق . . . الخ . »

وكان في جلسات المجمع الأصلية والفرعية إذا أشكل أمر، أو أظلمت مسألة خرج هو على الأعضاء بما يزيل اللبس. ويكشف الغموض والابهام، وكانوا جميعاً يعترفون له بالسبق، ويعتبرونه جبهة تقطع قول كل خطيب. قال الدكتور منصور فهمي بك عضو المجمع اللغوي في معرض رثائه: ... إنا أمس الأول - حين جمعتني وبعض زملائك حلقة من حلقات المجمع اللغوي - كنا القول فيما كنا نتذاكر فيه: انتظروا الإسكندري، وارجئوا المسألة فعند الإسكندري علم ما أشكل علينا، ولديه حل ما استعصى علينا، والآن يموت خلال المشكلات، والمرتبجي في اللغة للمستعصيات ... الخ.

وعند ما سافر سنة ١٩١١ إلى مؤتمر المستشرقين في بلاد اليونان، بصحبة المغفور لحسن: (الأمير فؤاد - جلالة الملك فؤاد)، وأمير الشعراء أحمد شوقي بك، وأحمد زكي باشا، وحفني ناصف بك، وغيرهم، خطب في موضوع اللغة العربية الفصحى، وقلة انتشارها بين الغالبية العظمى من أهل الممالك الإسلامية المختلفة، وعرض على جماعة المستشرقين استفتاء في رأي المرحوم يعقوب أرئين باشا، وكيل وزارة المعارف إذ ذاك، في: هل يجوز أن تحل في كل بلد لغة أهله العامية، وهي لغة السواد الأعظم، محل اللغة الفصحى: في الكتابة، وتستعمل في الخطابة؟ وذكر لغات هذه البلاد العامية ولهجاتها المختلفة، وأدب كل لغة في ثراها ونظمها، وقرأ ذلك من كتاب له غير مطبوع ... قال إن يعقوب باشا كلفه بوضعه عن لغات هذه الشعوب الإسلامية العامية، فقصي في بحث هذه اللغات واللهجات بضع سنين، واقتبس منها ما دونه في كتابه المذكور، وهي لغات العامة في بلاد العرب والشام والعراق ومصر وتونس والجزائر ومراكش وغيرها من البلاد التي يتكلم أهلها اللغة العربية بلهجتها العامية الخاصة بها؛ وقد اهتم المستشرقون بهذا البحث، وناقشوه فيه، وقضوا وقتاً طويلاً في مباحثته ومساجلته، ثم انتهوا من ذلك إلى قرار صريح بأن: اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف؛ وأن من واجب حكومات هذه البلاد أن تعني بنشرها بين الطبقات الشعبية، لتقضي

على اللهجات العامية التي لا تصلح كلفة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين
والعادات والأخلاق، ؛ وكان هذا القرار فوزاً بالغاله، سر به المجمع، لأنه
كان تعزيزاً لرأيه ضد رأى أرئين باشا، وهو نصير اللغة العامية، واحلالها
محل اللغة العربية الفصحى.

وفاته :

وفي منتصف الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ١٨ من صفر سنة ١٣٥٧ —
١٩٠١ من ابريل سنة ١٩٣٨ : لحق بالرفيق الأعلى، على أثر مرض ألزمه الفراش
أسبوعين ولم يجد دواء الطبيب، فلكل أجل كتاب :

دخل الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا ونخلوها لقوم بعدنا

محمد الأحمر برانق

الناصرية



أصحاب الفيل

قصة تمثيلية - مقتبسة من السيرة النبوية

في ثلاثة فصول

لـ مؤلف محمد يوسف المحبوب

تمهيد :

زمن القصة : — منتصف القرن السادس الميلادي
مكان القصة : — بلاد العرب : « مدينة صنعاء باليمن . مكة المكرمة »
أشخاص القصة : —

أبرهة : ملك الحبشة في اليمن	سائل الفيل
وزيره	جنود حباش
حجابه	عبد المطلب : سيد قريش
صناع	اعراب
احباش	رعاة
حارس الكنيسة	هواتف
قائد الجيش	بشر

التعريف بالقصة :

هذه قصة أصحاب الفيل ، الذين أنزل الله في شأنهم على نبيه الكريم :
« ألم تركب فكل ربك بأصحاب الفيل ؟ ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل
ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ما كول ؟ »
وقد اقتبست موضوع هذه القصة من السيرة النبوية ، ونظمتها شعرا تمثيلاً في ثلاثة فصول :
الفصل الأول : في مدينة صنعاء ، اليمن ، حيث بنى أبرهة كنيسة يصرف الناس بها عن الكعبة
لينقل الحصب والرخاء إلى بلاد خاضعة لسلطانهم ، وحيث غضب العرب لكعبتهم فتآمروا وأحرقوا الكنيسة
ثم كان تصميم أبرهة على الانتقام بهموم الكعبة .
أما الفصل الثاني : فتقع حوادثه في مكة ، إذ يزحف جيش أبرهة أمامه الفيلة فيذهب في طارقه جمل
« عبد المطلب » ، ثم إذ يترك عبد المطلب الدفوع عن البيت مطالباً أبرهة بجماله ، لأن البيت رباً يحميه
ثم إذ يرسل الله على أبرهة وجيشه ، جند السماء : « طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ،
فجعلهم كعصف ما كول »
أما الفصل الثالث : فانه يصور البشري بهلاك القوم ، ونجاة الكعبة : نجاة كانت فاتحة عهد جديد ،
وإرهاصاً لقدوم كبرنى في العالمين ، فقد ولد في ذلك العام : « عام الفيل » محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب الربى الكريم .
هذا وإنى لا أقدم بهذه القصة إلى الناطقين بالعربية ، راجياً أن أكون قد وفقت لتحقيق بعض
ما نطمح إليه جميعاً : من أحياء تراثنا التاريخي المجيد ، بأسلوب يسير روح العصر الجديد .

الفصل الأول

المنظر الأول :

في مدينة صنعاء باليمن قصر أبرهة : الملك، وزيره ، حجاب ، حجاج من عرب اليمن يمدون
امام القصر منشدين في طريقهم إلى مكة :
الحجاج ينشدون :

« هَيَّا هَلَا يَارِفَاقُ تَاهَبُوا لِلرَّحِيلِ »
« الْيَوْمَ يَصْفُو التَّلَاقُ فِي يَتِّ إِسْمَاعِيلِ »

هَذَا مَقَامُ الْخَلِيلِ يَشَعُ مِنْهُ الضِّيَاءُ
فَيَجْتَلِيهِ التَّزْيِيلُ عَلَى رَبَا صَنْعَاءِ

يَا كَعْبَةَ نَدَنَّا فِي ظِلْمَا الْمَجْدَا
قُومِي انْظُرِي : إِنَّا نَظْوِي لَكَ النُّجْدَا

أَلْقَتْ شَمْلَ الصُّحَابِ مِنْ قَوْمِكَ الْعُرْبِ
عَاشُوا عَلَى الْأَحْقَابِ فِي وَارِفِ الْحُبِّ

أبرهة لوزيره :

يَمْنُ الْقَوْمِ تَنَادَوْا بِالرَّحِيلِ وَإِلَى أَيْنَ يُرِيدُونَ السَّفَرَ ؟
مَا لَهُمْ يَشْدُونَ بِاللَّحْنِ الْجَمِيلِ مِثْلَ قُرَى تَغْنَى فِي السُّحَرِ ؟

الوزير :

إِنَّهُمْ - مَوْلَايَ - عُرْبُ الْيَمَنِ يَبْتَغُونَ الْحَجَّ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ
قَامَ رُكْنَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَنِ فَسَمَى النَّاسُ إِلَيْهِ كُلَّ عَامِ

يَرْجِعَ الْكُلُّ إِلَيْهِ مُهْطِينَ أَمَّا شَتَّى الْهَوَى وَالنَّسَبِ

مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ لَبَوْا مُسْرِعِينَ فَشَتَّى الْغَضَبِ لَأَرْضِ الْعَرَبِ

أبرهة :

أَوْ يُزْهِوْنَ بَيْنَانٍ عَتِيقَ وَيَبْأَهُونَ بِهِ كُلَّ الْأُمَمِ ؟

سَوْفَ تَنْزُوهُمْ بِدُنْيَانٍ تَضِيقُ عَنْ مَدَى آفَاقِهِ أَقْوَى الْهِمَمِ

أَحْضَرُوا كُلَّ صَنَاعٍ وَانْحَثُوا بَيْنَ الْبَقَاعِ

الوزير :

إِنَّ فِي مَلِكِكَ يَا مَوْ لَأَيَّ لِفَنٍّ رِجَالًا

مَثَلًا أَعْلَى إِذَا شِئْنَا عَلَى الدُّنْيَا مِثَالًا

بُرْهَةً : تَبْصُرُ فِي نَا دِيكَ أَصْفَاهُمْ خِيَالًا

د يرسل الوزير في طلب الصناعات ، الوزير إلى الرسول :

اجْمَعْ الصَّنَاعَ مِنْ كُلِّ رَصِينٍ عَبَقَرِي الذِّهْنِ مَوْهوبِ الِيمِينِ

(ينصرف الرسول)

يسمع من جانب القصر أعراب يتشددون :

يَا كَعْبَةَ نَلْنَا فِي ظِلِّهَا الْمَجْدَا

قَوْمِي انْظُرِي : إَنَا نَطْوِي لَكَ النُّجْدَا

أَلْفَتْ شَمْلَ الصَّحَابِ مِنْ قَوْمِكَ الْعَرَبِ

عَاشُوا عَلَى الْأَحْقَابِ فِي وَارِفِ الْحَبِّ

أبرهة :

أَسْمِعِ الْأَقْوَامَ : مِنْ دَانٍ وَنَاءٍ يَنْفُثُونَ السَّحَرَ فِي عَذَبِ الْغَنَاءِ

كَلَّمَارَتْ بِأُذُنِي شَدَّوْهُمْ حَفَزَ - الْهِمَّةَ مِنِّي لِلْبِكَاءِ
لَمْ لَا تُصْبِحْ صَنَعَاءَ هُنَا كَثِيبَةُ الدُّنْيَا وَيَنْبُوعُ الثَّرَاءِ ؟

الوذير :

أَمْرُ مَوْلَايَ . إِذَا شَاءَ فَلَا يَفْتَضِينَا الْأَمْرُ جَهْدًا أَوْ عَنَاءَ
بَيْنَ أَيْدِينَا نَضَارٌ ذَائِبٌ وَلَنَا الْجَنْدُ يُلَبُّونَ النَّدَاءَ
إِنهَا صَنَعَاءَ : لَمْ تُبْصِرْ سَوَى عَهْدِكَ الْمَيِّمُونَ بَسَامًا رَخَاءَ

الحاجب :

حَضَرَ الصَّنَاعَ يَا مَوْ لَايَ ، فَأَمْرٌ مَا تَشَاءُ
(الصنّاع يدخلون)

أبرمة :

إِنبَوَانَا دَارَةَ لَمْ يَدِينَهَا ، لِمَا مِنْ الْمُلُوكِ تَسَامِي دَارَ الشَّهْبِ
إِنبَوَاهُنَا كَثِيبَةٌ لِلنَّاسِ رَائِمَةٌ وَزَيْنُوهَا بِصَافِي الدَّرِّ وَالذَّهَبِ
إِنبَوَا الْكَنِيسَةَ نَصْرِفِ الْأُمَمَا عَنْ كَثِيبَةٍ يُزْهَى بِهَا الْعَرَبِ
فَإِذَا هَدَمْنَا رُكْنَهَا انْهَدَمَا وَغَدَوْ وَقَائِمَ رَبْعِهِمْ خَرِبُ

الصناع :

سَوْفَ تَنْقُضِي كَمَا أَرَدْتَ ، وَتَبْنِي شَاهِقًا يَا كُلُّ السَّنِينِ وَيُفْنِي
يَجْمَعُ الْمَجْدَ وَالْجَلَالََةَ صَرْحًا وَيَغْمُ الْبَدِيعَ مِنْ كُلِّ فَنٍ

المنظر الثاني :

« الكيسة قائمة على أغم طرازه أحباش أمامها ، أعراب في أحد جوانبها »

حبنى (يسمى بالكيسة) :

يَا بِنَاءَ بِهِ بَلَّغْنَا السَّمَاءَ قُوَّةً وَاسْتِطَالَةً وَاعْتِلَاءً
سَوْفَ يَسْمَعِي لَكَ الْحَجِيجُ فْتُمْنِي كَعْبَةُ الْعُرْبِ بَعْدَ هَذَا هَبَاءَ

أعرابي لصاحبه « مامساً في غبط » :

أَسَمِعْتَ الْمُفْتُونُ زُهَى يَدَيْتِ ظَنُّهُ خَالِدًا عَلَى الْأَحْقَابِ ؟
وَأَنْتِ إِنْ سَكَتُ عَنْهُ فَأَنْتِ لَسْتُ أَهْلًا لِلنِّسْبَةِ الْأَعْرَابِ

زميله :

دَبَّرُ الْيَوْمَ مَا تُرِيدُ فَأَنْتِ يَارَفِيقِي أَدَيْكَ رَهْنُ الْإِشَارَةِ
إِنَّا مَعْشَرَ الْأَعْرَابِ أَقْوَى مِنْ مَخْرُوضِ الْوَعَى وَيَحْمِي ذِمَارَةَ

رفاقها :

يَبَاهُونَ بُدْيَانَا يَدُ اللَّهِ وَطَدَّتْ دَعَائِهِ فِينَا فَأَمْسَى لَنَا كَهْفًا ؟
لَسَوْفَ نُؤَافِيهِمْ بِنَارِشُواظَهَا يُحَرِّقُ مَا شَادُوا، وَيَنْسِفُهُ نَسْفًا

« بنصرف الناس جماعات ، ويبقى لأعرابي وأصحابه يبيدون بركبون الظلام يهبط »

أعرابي :

قَدْ أَتَى اللَّيْلُ فَارْقُبُوا حَارِسَ الْقَوْمِ

زميله (مامساً) :

قَدْ رَقَدَ

ثان :

أَشْعِلُوا النَّارَ وَاهْرُبُوا لِحِظَةِ مَا يَهَا أَحَدُ

بشماون النار ويفرون منشدين :

تَارَنا اِلَآنَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ لِيَحْيَ الْبَيْتُ مَحْمِيَّ الدِّمَامِ

المنظر الثالث :

« قصر أبرهة - رجال الحاشية - حارس الكنيسة بين يدي أبرهة »

الحارس :

مَوْلَايَ : اَيْدِ خَسِيْسَةٍ تَطَاوَلَتْ لِلْكَنِيسَةِ

فَأَحْرَقَتْهَا بَلْبِلٍ

أبرهة (في لفظة) :

يَا لَهْفَهَا مِنْ فَرِيْسَةٍ

وَكَيْفَ صَاعَتْ بِذِلِّ ؟

أَمْ كُتِمُ فِي سُبَاتٍ ؟

الحارس في (انطراب) :

مَوْلَايَ أَحْرَقَهَا الْأَعْرَابُ وَأَنْطَلَقُوا

أبرهة : (مؤنبا) :

ضَيَعْتُمُوهَا بِنُومٍ وَمَنْ غَفَا كَيْفَ يَسْمُو ؟

تُرَى : أَيْتَفَعُ لَوِي ؟ وَأَيْنَ يَنْفَعُ لَوْمٌ ؟

(غاضبا) :

تَاهَبُوا وَاسْتَعِدُّوا لِنَهْدِمِ الْبَنِيَانَا

لَنْ يَهْدَأَ الْقَلْبُ بَعْدَ حَتَّى نَرُدَّ الْهُوََانَا

سفائد الجند :

سَيُْمْسَحُ الْعَارُ عَنَّا وَيُسْحَقُ الْأَعْدَاءُ

فَاهْدَأْ (مَلِيكِي) فَإِنَّا هُنَا جَمِيعًا فِدَاءُ

« ستار »

﴿ انتهى الفصل الاول ﴾